بين يدي السورة :

السورة مكيَّة بالاتفاق ، وتشتمل على بعض مظاهر الانقلاب الكوني الذي يحدث عند قيام الساعة ، لبيان أن الإنسان لم يخلقه عبثاً ولن يتركه سدى بل إنه سوف يحاسب حتماً في الآخرة على ما قدَّم مختاراً في الدنيا ، فإن آمن وأطاع كان حسابه يسيراً وعاقبته نعيماً ، وإن كفر وعصى كان حسابه عسيراً ويصلى جحيماً ، ويقسم الله تعالى ببعض مخلقاته الدالة على قدرته تعالى على تغيير أحوال الكون على قدرته سبحانه على حساب الناس يوم القيامة وتغيير أحوالهم حسب أعمالهم .

فضل السورة :

عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : " من سرَّهُ أن ينظرَ إلى يومِ القيامة كأنَّهُ رأيُ عينٍ فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ﴾ و ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ [صححه الألباني]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾
إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ
بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا

ٱلۡتَسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٢٥﴾

اللغويات :

﴿انْشَقَّتْ﴾ انْشَقَّ الشَّيءُ : انْفَلَقَ ، انْصَدَعَ أو انْقَسَمَ ﴿أَذِنَتْ﴾ أَذِن له وإليه : اسْتَمَعَ ﴿حُقَّتْ﴾ حقَّ الأمرُ : صحَّ وثَبَتَ وصَدَق ، حَقَّ الخَبَرَ : صَدَّقَهُ ، تَيَقَّنَ منْهُ ﴿مُدَّتْ﴾ بُسطتْ وسُوِّيَتْ ﴿تَخَلَّتْ﴾ تخلَّى عن الأمر ، ومنه : تَرَكَه ، تَخَلَّى فلانٌ : تَفَرَّغ ﴿كَادِحٌ﴾ كَدَحَ لنَفْسه : عَمِلَ خيرًا أو شرًا ﴿فَمُلَاقِيهِ﴾ لاقى الشَّيءَ أو الأمرَ : وجدَه لاقى ، الله : تُوُفِّي ، وصَارَ إلى حسَابِه ﴿يَنْقَلِبُ﴾ انْقَلَبَ : رَجَعَ وانصرف ﴿ثُبُورًا﴾ ثبَر المرْءُ : هَلَكَ ﴿سَعِيرًا﴾ السَّعيرُ : النار ﴿يَحُورَ﴾ حار فلانٌ يحور : رجَع ﴿بِالشَّفَقِ﴾ حُمْرَةٌ تَظْهَرُ في الأُفُقِ حيث تغْرب الشمسُ ، وتستمرُّ من الغروب إلى قبيل العشاء تقريبًا ﴿وَسَقَ﴾ الشّيءَ : ضمَّه وجمَعَه وحمَلَه ، وَسَقَ اللَّيلُ الأشياءَ : جلَّلَها وسترَها ﴿اتَّسَقَ﴾ الشيءُ : اجتمع وانضمَّ ، والقمرُ : استوى وامتلأ ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ رَكِبَ الشيءَ ، وعليه ، وفيه ، رُكُوبًا ومَركبًا : عَلاهُ ﴿طَبَقًا﴾ الطَّبَقُ : الحالُ والمنزلةُ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ : لتنتقلُنَّ من حال إلى حال ﴿يُوعُونَ﴾ وَعَى الأَمَر : أدركه على حقيقته ﴿مَمْنُونٍ﴾ مقطوع .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ من علامات الساعة الكبرى الانقلاب الكوني فالسماء التي بناها الله في غاية الإحكام وحبكها غاية الحبك يتصدع بناؤها وينهار نظامها فتكور شمسها وتتساقط كواكبها ونجومها ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وهذا الانقلاب الكوني لا يحدث إلا بإذن الله تعالى فالسماء تسمع لأوامر ربها وتطيع وهذا حق عليها فقد خيَّرها الله تعالى هي والأرض والجبال في بداية الكون بين التسيير والتخيير فاخترن التسيير لا التكليف والتخيير ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾

[الأحزاب:٧٢] ﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾ والله تعالى قد مدَّ الأرض في بداية الخليقة وألقها فيها رواسي تهيئة لحياة الكائنات فوقها ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩] أما المَدُّ الثاني فيكون في آخر الزمان تدميراً لحياة الكائنات التي فوق الأرض وإخراجاً لما في بطنها من موتى وكنوز يقول النبي ﷺ : " تقيءُ الأرضُ أفلاذَ كبدِها أمثالَ الأسطوانِ من الذهبِ والفضةِ . فيجيء القاتلُ فيقول: في هذا قُتلتُ ، ويجيء القاطعُ فيقول : في هذا قَطعتُ رحمي ، ويجيءُ السارقُ فيقول : في هذا قُطعَتْ يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئًا " [صحيح مسلم] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي أفرغت الأرض كل ما كان في باطنها ولم يبق ما تحتفظ به فقد تخلَّت عن كل شيء ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ وما فعلت ذلك عن أمرها إنما استجابة لأمر ربها وحق لها أن تسمع وتطيع ، وكل ما يحدث للسماء والأرض إيذاناً بالحساب وجواب ﴿إِذَا﴾ في صدر السورة محذوف، لإرادة التهويل على الناس ، تقديره : إذا حدث ما حدث ، رأيتم أعمالكم من خير أو شر﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ثم يخاطب الله تعالى الإنسان ويقول له : إنك تتعب وتكدُّ من أجل غاية تنشدها ، والله تعالى مجازيك على تعبك وغايتك ، فإن تعبت لغايات دنيوية فالله تعالى يعطيك نصيبك منها وما لك في آخرة من نصب ، وإن آمنت بالله وجعلت غايتك طاعته فسيعيك الله تعالى نصيبك في الدنيا ونصيبك في الآخرة ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشُّورى:٢٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٨، ١٩] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ فمن آمن بالله تعالى وعمل صالحاً في الدنيا فسوف يعطيه الله تعالى كتاب عمله بيمينه في الآخرة دلالة على رضا الله عنه ، وتُعْرَض عليه أعماله فقط ويتجاوز عن مناقشته فيها بل يكفِّر الله عنه سيئاته ويجازيه بحسناته فعن السيدة عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : " ليسَ أحدٌ يُحاسَبُ إلا هَلَكَ قلتُ : يا رسولَ الله ! أليسَ اللهُ يقولُ : حسابًا يسيرًا ؟ قال : ذاكَ العَرْضُ . ولكنْ مَنْ نُوقشَ الحسابَ هلكَ ." [متفق عليه] ويعود هذا العبد الصالح إلى أهله من المؤمنين في الجنة سعيداً برضا الله ونعيمه ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ أمَّا من أوتى كتابه

بشماله من وراء ظهره تحقيراً لأمره فإنه يصرخ : يا هلاكي يا ويلي ، ويتمنى الهلاك والموت ، ثم يلقى به في جهنم ليحترق بنارها وحرها ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ولقد استحقَّ هذا الجزاء لأنه عاش في الدنيا لاهياً لاعباً بين أهله غافلاً عن حق ربه ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ * بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ إن سبب لهوه ولعبه واغتراره بالحياة الدنيا كفره بالبعث والرجوع إلى الله تعالى ليحاسبه ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام:٢٩] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف:٥١] وليس الأمر كما يظن هذا الكافر بالله واليوم الآخر فإن الله تعالى سوف يبعثه ويحاسبه على ما عمل فهو الذي خلقه ويعلم ما توسوس به نفسه ويعلم سره وعلانيته ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ثم يقسم الله تعالى ببعض مخلوقاته التي تدل على قدرته على تغير الأحوال وتبديل الأشكال فيقسم بحمرة الأفق بعد الغروب التي تعلن انتهاء العمل وحلول ساعة العودة إلى السكن ، وبسواد الليل الذي يجمع ويحتضن الكائنات لتستريح بعد عناء العمل ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام:٩٦] ، وبالقمر ونوره إذا اكتمل ، وجواب القسم ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ففي الآخرة تتغير الأحوال وتتعاقب مرحلة تتلوها مرحلة فمن موت إلى برْزَخ إلى بعث إلى نَشْر صحف الأعمال إلى الميزان إلى القَصَاص إلى الصِّراط ثم إلى جنة أو نار ﴿فَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ * بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ فأي شيء جعل هؤلاء الأشقياء يكفرون بالله وباليوم الآخر وبالرسول وبالقرآن الكريم ؟! كيف يكفرون بالله تعالى مع كثرة موجبات الإيمان ؟! مثل : وجود الأدلة الكونية القاطعة الدالة على قدرة الله على كل شيء ، والمعجزات الظاهرة الدالة على صدق النبي ﷺ ، وصدق الوحي القرآني المُنزَّل عليه وبدلاً من أن يسجدوا لله إذا سمعوا آيات القرآن يكذِّبون به وبمن نَزَل عليه ومن أوْحَى به إليه! ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ والله أعلم بما يُضْمرون في قلوبهم من جحود وكفر كان سبباً في عدم إيمانهم ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فمصير هؤلاء الكافرين عذاب أليم في جهنم ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم عند الله أجر غير مقطوع عنهم ولا محسوب عليهم ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢،٣٣]

فوائد وعظات :

* ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ وسرور هذا الشقي في الدنيا كان نتيجة شعوره بالراحة في عدم الالتزام بأوامر الله ونواهيه ، وبالحرية في فعل ما يتمناه ويشتهيه دون خوف من مناقشة حساب وتعرض لعقاب ، ونسي هذا الشقي أنه لا سعادة بغير طمأنينة قلب ولا طمأنينة لقلب إلا بذكر الله ، كما نسي أنه لا خير في لذَّة يعقبها ندم، وأن عدم إيمانه بيوم الحساب لن يمنع قيام القيامة والرجوع لله للحساب.

* ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ ﴿لا﴾ نفي لزعم الكافر بعدم الرجوع لله والحساب ﴿أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ توكيد على قدرة الله تعالى على إماتته وبعثه ومحاسبته . (١)

* ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ اختلف المفسرون حول الآية إلى ستة أقوال :

الأول : لتركبن أيها الإنسان أمراً بعد أمر وحالاً بعد حال إلى أن يستقر الأمر على ما يقضي به على الإنسان من جنة أو نار فحينئذ يحصل الدوام والخلود ، ويدخل في هذه الجملة أحوال الإنسان من أن يكون نطفة إلى أن يصير شخصاً ثم يموت فيكون في البرزخ ، ثم يحشر ثم ينقل ، إما إلى جنة وإما إلى نار .

والثاني : أن معنى الآية أن الناس يلقون يوم القيامة أحوالاً وشدائد حالاً بعد حال وشدة بعد شدة كأنهم لما أنكروا البعث أقسم الله أن البعث كائن وأن الناس يلقون فيها الشدائد والأهوال إلى أن يفرغ من حسابهم فيصير كل أحد إلى أعدله من جنة أو نار .

والثالث : أن يكون المعنى أن الناس تنتقل أحوالهم يوم القيامة عما كانوا عليه في الدنيا فمن وضيع في الدنيا يصير رفيعاً في الآخرة ، ومن رفيع يتضع، ومن متنعم يشقى ، ومن شقي يتنعم ، وهو كقوله﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾[الواقعة: ٣]

الرابع : أن يكون المعنى لتركبن سُنَّة الأولين ممن كان قبلكم في التَّكْذِيب بالنُّبوة والقيامة.

الخامس : إشارة علمية إلى إمكانية صعود الإنسان إلى طبقات عدة في الفضاء كالصعود إلى القمر والكواكب الأخرى .

السادس : المراد بركوب الطبق في الآية الكريمة : ركوب المركبة الفضائية، وأن الإنسان لن يقتصر على ركوب الدواب والسفن بل سيأتي زمن تتطور فيه العلوم ، ويركب هذا الإنسان طبقًا بعد طبق أي : تتطور هذه الوسائل المستخدمة للنقل من

(١) لمزيد من التفصيل حول القسم المسبوق بالنفي ﴿لا أُقْسِمُ﴾ راجع سورة البلد ص ١١٥ .

القطار مثلاً ، إلى الطائرة ، ثم إلى المراكب الفضائية ، ثم إلى المراكب الفضائية المتطورة جدًا .

وهذه الأقوال الستة كلها مقبولة ، وإن كنت أرجِّح أن الآيات من أول ﴿فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ إلى هذه الآية فيها أعجاز علمي لمَّا يكشف العلم عنه بعد .

* ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..﴾

الاستثناء فيه قولان : الأول أنه منقطع فالمستثنى ليس من جنس المستثنى منه فالذين آمنوا ليسوا من جنس المُبَشَّرين بعذاب أليم .

والثاني : أنه استثناء متصل ومعناه أن الكفار لهم عذاب أليم إلا من تاب منهم وآمن وعمل صالحاً فلهم أجر غير ممنون ، وهذا هو الرأي الراجح .

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ استعارة مكنية حيث شبه السماء (وكذلك الأرض) بإنسان يسمع ويطيع وسر جمالها التشخيص .

* الطباق بين لفظ ﴿السَّمَاءُ﴾ و ﴿الأَرْضُ﴾ لبيان شمول قدرة الله تعالى على جميع في السماء والأرض وما بينهما .

* المقابلة بين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ وبين ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِهِ﴾ لبيان الفرق بين حال الكافرين وحال المؤمنين يوم القيامة.

* ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ كناية تبدل أحوال الناس في الدنيا والآخرة .

* الجناس الناقص بين كلمتي ﴿وَسَقَ﴾ و ﴿اتَّسَقَ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً

* ﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ استفهام بمعنى الإنكار، وهذا إنما يحسن عند ظهور الحجة وزوال الشبهات ، والأمر هاهنا كذلك .

* ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ استعمال البشارة في موضع الإنذار للتهكم بالكفار.

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات مثل ﴿انْشَقَّتْ .. وَحُقَّتْ .. مُدَّتْ﴾ و﴿يَسِيرًا .. مَسْرُورًا .. ثُبُورًا .. سَعِيرًا .. مَسْرُورًا .. يَحُورَ .. بَصِيرًا﴾ و﴿بِالشَّفَقِ .. وَسَقَ .. اتَّسَقَ .. طَبَقٍ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

هذه السورة مَكِّيَّة بالاتفاق ، واشتملت على قسم الله تعالى بالسماء ومواقع نجومها وبيوم القيامة وأهواله وكل شاهد ومشهود في الدنيا والآخرة على لعن أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات وتوعدهم الله تعالى بعذاب جهنم وهؤلاء لن يعجزوا الله فقد أهلك من هم أشد منهم قوة كفرعون وثمود فهو الذي يبدئ ويعيد وهو الفعَّال لما يريد ، أما المؤمنون الصالحون فيعدهم الله تعالى بالفوز الكبير .

فضل السورة :

أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقرَأُ في الظُّهرِ والعصرِ بـ : ﴿السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ و ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [صححه الألباني]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ
أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ
مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ
لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ

ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

اللغويات :

﴿الْبُرُوجِ﴾: مواقع النجوم التي تظهر لسكان الأرض في شكل اثني عشر برجاً ﴿الْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة ﴿الأُخْدُودِ﴾ الشَّقُّ المُسْتَطِيل في الأرْض ﴿الْوَقُودِ﴾ كل مادة تتولد باحتراقها طاقة حرارية ﴿قُعُودٌ﴾ جلوس ﴿نَقَمُوا﴾ نَقَم الشَّيءَ : بَالَغ في إنكاره وعيبه ﴿الْعَزِيزِ﴾ الغالب كلَّ شيء ، والعَزِيزُ من صفات الله عز وجل وأسمائه الحسنى ﴿الْحَمِيدِ﴾ حَمده حَمْدًا : أثنى عليه ، وفُلاناً : جزاه وقضى حقَّه ، والشَّيءَ : رضي عنه ، والحَمِيدُ من صفات الله تعالى بمعنى المَحْمُود على كلّ حال ﴿فَتَنُوا﴾ فَتَنَ المَعْدَنَ : صَهَرَه في النَّار ليَخْتَبِرَه ويَميزَ الرَّديءَ مِنْ الجيِّد ، وفُلاناً عَذَّبَه ليُحَوِّلَه عن رَأْيِه أوْ دِينه ، الفتْنة الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار ﴿بَطْشَ﴾ به : أخَذَهُ بالعُنْف والسَّطْوَة ﴿يُبْدِئُ﴾ بَدَأَ الشَّيءُ: حَدَثَ ، وَأَبْدَأْتُه : أَحْدَثْتُه ، وبَدَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ وَأَبْدَأَهُمْ بِالأَلف : خَلَقَهُمْ ﴿يُعِيدُ﴾ عاد إليه يَعُودُ عَوْدَةً وعَوْداً : رجع ، والله تعالى يُعيد الخَلْقَ : يَبْعَثُهم بعد موتهم ويحشرهم إليه ﴿الْوَدُودُ﴾ الكثيرُ الحُبِّ، واسم من أسماء الله الحسنى معناه المُحبُّ لعباده الصالحين أو المحبوب في قلوب أوليائه ﴿الْعَرْشِ﴾ سَرِيرُ المَلِك ، وعَرْشُ الله تَعالَى الذي لا يُحَدُّ ولا يُقْدَرُ قَدْرُه ﴿الْمَجِيدُ﴾ الوافر المجد، واسم من أسماء الله الحسنى ﴿ فِرْعَوْنَ﴾ اسم ملك مصر الطاغي الذي أرسل الله تعالى له موسى عليه السلام ﴿ثَمُودَ ﴾ قوم صالح عليه السلام وهم من العرب البائدة كفروا بالله فأهلكهم ﴿ تَكْذِيبٍ ﴾ كَذَّبَ بالأَمْرِ تَكْذِيباً وكِذَّاباً : أنْكَرَهُ ، وفُلاناً : جَعَلَهُ كاذباً ﴿مُحِيطٌ﴾ أحاط بالأمر : أدركه من جميع نواحيه ﴿لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾ مُستودَعُ مَشيئاتِ اللَّه تَعالى وهو مما استأثر الله بعلمه .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ أقسم الله تعالى بالسماء ونجومها التي تبدو لنا مواقعها في اثني عشر شكلاً على مدار العام لبيان عظمة خلقها وإحكام بنائها ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة الذي يبعث الله تعالى الناس فيه ويحشرهم إليه ويحاسبهم على

ما عملوا ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ وكل شاهد في السماء والأرض وكل مشهود عليه من الخَلْق وأعمالهم فالله تعالى جعل على خلقه شهوداً كثيرين وليس شاهداً واحداً فالأنبياء تشهد على أقوامهم ، وأعضاء الجسد تشهد على صاحبها ، وبقاع الأرض تشهد بما جرى فوقها ، والسماء تشهد بما حدث تحتها ، والأيام والليالي يشهدان بما جرى خلالهما ، والملائكة تشهد بأعمال البشر المُوَكَّلة بهم ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ وحق السماء ذات البروج ، وحق اليوم الموعود ، وحق الشاهد والمشهود، لقد قُتِلَ ولُعِنَ أصحاب الأخدود ، وطردوا من رحمة الله بسبب كفرهم وبغيهم ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ وبسبب إشعالهم النار ذات اللهب التي أحرقوا بها المؤمنين ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ لقد جلس هؤلاء الكفار الباغون حول النار التي يحترق بها المؤمنون ليتلذَّذوا بمشاهدة حريقهم بأنفسهم ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ وكانت كل جريمة هؤلاء المؤمنين التي أنكرها وعابها عليهم هؤلاء الطغاة أنهم آمنوا بالله القوي الذي لا يغلب والمجازي الإنسان بما يستحق والذي له ملك السموات والأرض وما بينهما ، والذي يشهد على ما يفعل الناس ويحاسبهم على ما يفعلون ، ولو شاء تعالى لمنع الطغاة من تعذيب المؤمنين ولكنه تعالى يبتلي الناس ليميز الخبيث من الطيب ويجازي المؤمنين بما صبروا وينتقم من الكفار بما طغوا ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ إن الطغاة الذين عذَّبوا المؤمنين وأحرقوهم ليحوِّلوهم عن دينهم بعد أن هداهم الله ، ولم يندموا على ما فعلوا ويتوبوا إلى الله من ذنوبهم فإن الله تعالى سيدخلهم جهنم ويضاعف لهم نارها وعذابها ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أما المؤمنون الصالحون المُصْلحون فسيدخلهم الله تعالى جنات تجري من تحت أشجارها وبساتينها الأنهار وهذا هو النجاح الحقيقي والنجاح العظيم الذي ينبغي على الإنسان إن يسعى ليحققه أما جميع أنواع النجاح الدنيوية الأخرى التي لا توصل إلى الجنة فلا قيمة لها ولا تقاس بما أعدَّ الله تعالى للمؤمنين في الجنة ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ إن الله تعالى يمهل للظالمين لعلهم يتوبون فإن لم يتوبوا أخذهم أخذ عزيز مقتدر فانتقام الله تعالى لا مثيل له فهو ذو القوة المتين شديد العقاب ذو الحول والطول ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ والله هو الذي بدأ الخلق وأنشأه من العدم وهو الذي يعيده ليحاسب الناس على ما فعلوا ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ والله

تعالى غافر الذنب قابل التوب عظيم الحب لمن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ والله تعالى صاحب العرش العظيم المتصف بالإرادة والقوة فما يريده سبحانه يفعله كلمح بالبصر ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠] ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ثم يذكِّر الله تعالى نبيه وكلَّ قارئ للقرآن بالطغاة الجبابرة وجنودهما مثل فرعون وجنوده وقبيلة ثمود المشهورة قصصهم بالمَدَنيَّة والعمران ، والبغي والطغيان ، والقوة والسلطان ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ هؤلاء الذين كفروا بالله وأنعمه وكذَّبوا رسله ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ والله تعالى عليم بهم مطَّلع على أحوالهم محصٍ لأعمالهم وسوف يجازيهم بما يستحقُّون ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ * فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ إن القرآن الكريم الذي يكذِّب به الكفار المعاندين ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥] كتاب الله تعالى الذي ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢] وهو الكتاب المقدس الوحيد الذي تعهَّد تعالى بحفظه من أي عبث أو تحريف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وأن القرآن الكريم محفوظ كذلك في اللوح المحفوظ مُستودَعُ مَشيئاتِ اللّه تَعالى .

فوائد وعظات :

* ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج في المنظور الفلكي منطقة في القبة السماوية تظهر بها مواقع النجوم تلك المواقع التي يعطي تقاربها إيحاء للناظر باثني عشر شكلاً بعدد شهور السنة ولكل شهر برج من هذه الأبراج بالترتيب التالي : الحَمَل ، الثَّوْر ، الجَوْزَاء ، السَّرَطان ، الأسَد ، العَذْرَاء ، الميزَان ، العَقْرَب ، القَوْس ، الجَدْي ، الدَّلْو ، الحُوت .

ولا يدل الانتظام الظاهري للنجوم عند رؤيتها من الأرض علي أنها تُكوِّن وحدة حقيقية في صفحة السماء الدنيا ، فقد تكون هذه المواقع النجميَّة بعيدة جداً عن بعضها البعض ، ولكنها تظهر لنا متقاربة لتعاظم أبعادها عنا ، ولوقوعها في نفس الاتجاه بالنسبة للناظر إليها من فوق سطح الأرض ، وترى تلك المواقع النجمية متساوية اللمعان تقريباً لتباين أبعادها عنا .

ومع دوران الأرض حول محورها أمام الشمس يشاهد الراصد الليلي النجوم في حركتها الظاهرية ساعة بعد أخري من مواقع مختلفة علي سطح الأرض، أما في

سبح الأرض عبر حركتها الانتقالية في مدارها حول الشمس فإن الراصد الليلي يشاهد مجموعات مختلفة من النجوم في مواقع مختلفة من القبة السماوية حسب كل من موقع الراصد من الأرض وموقع الأرض في مدارها في كل شهر من شهور السنة .[1]

* ما حكم قراءة كتب الأبراج والاعتقاد بأن أحداً يعلم الطالع ويتنبأ بالمستقبل؟

قال العلماء لا يجوز مطالعة كتب الأبراج ولا النظر فيها بدعوى أن لها تأثيراً في حياة الإنسان وأن هذا علم ثابت ، وأما ما يخفى من الأسباب فليس العبد مأموراً بأن يَتَكلَّفَه ويَتَكلَّفَ معرفته، فإذا فعل ما أمر به وترك ما نهي عنه كفاه الله مؤنة الشر وهيأ له أسباب الخير وقد قال ﷺ : " من اقتبسَ علمًا منَ النُّجومِ اقتبسَ شعبةً منَ السِّحرِ " [صحيح أبو داود] والسحر مُحَرَّم بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ، واعتقاد المعتقد أن النجم الفلاني أو البرج الفلاني هو المتولي لسعده ونحسه اعتقاد فاسد ، وكذلك اعتقاده أن إنساناً يعلم الغيب ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغَيْبِ﴾ [آل عمران:١٧٩] فالغيب مما استأثر الله تعالى بعلمه فهو ﴿عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الكَبِيرُ المُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩] ومن ادَّعى علم الغيب كذَّاب أشر ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ [الأنعام:٥٩] ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إِلا اللهُ﴾[النمل:٦٥] وإذا كان الأنبياء ينفون عن أنفسهم علم الغيب فكيف يدعيه إنسان؟! ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾ [الأعراف:١٨٨] وكذلك نَفَي الله تعالى عن الجن معرفتهم الغيب ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِه إِلا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ﴾ [سبأ:١٤]

ونختم بقول عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ : " من أتى عرافًا أو كاهنًا ، يؤمنُ بما يقولُ؛ فقد كفر بما أُنزل على محمدٍ. " [صححه الألباني]

* قصة أصحاب الأخدود كما جاءت في صحيح مسلم .

عن صهيب أنَّ رسول الله ﷺ قال : " كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا

(1) د . زغـلول النجـار " الإشارات الكونية في القرآن الكريم " جريدة الأهرام ١٠ / ٩ / ٢٠٠١

يُعَلِّمُهُ فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلامَهُ فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ فَقَالَ إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتْ النَّاسَ فَقَالَ الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمْ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ فَأَخَذَ حَجَرًا فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ أَيْ بُنَيَّ أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى فَإِنْ ابْتُلِيتَ فَلا تَدُلَّ عَلَيَّ وَكَانَ الْغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاءِ فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ فَقَالَ مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي فَقَالَ إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ فَآمَنَ بِاللَّهِ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ قَالَ رَبِّي قَالَ وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي قَالَ رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلامِ فَجِيءَ بِالْغُلامِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ فَقَالَ إِنِّي لا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ (المنشار) فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلامِ فَقِيلَ لَهُ ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاطْرَحُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَرَجَفَ بِهِمْ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ(سفينةٌ طويلة عظيمة) فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ فَذَهَبُوا بِهِ فَقَالَ اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ فَانْكَفَأَتْ بِهِمْ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ قَالَ كَفَانِيهِمُ اللَّهُ فَقَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ قَالَ وَمَا هُوَ قَالَ تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي (حقبة السهام) ثُمَّ ضَعْ السَّهْمَ فِي كَبِدِ (وسط) الْقَوْسِ ثُمَّ قُلْ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلامِ ثُمَّ ارْمِنِي فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ

ذَلِكَ قَتَلْتَنِي فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ ثُمَّ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْغُلَامِ ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ (الصُّدْغُ : جانب الوجه من العين إلى الأذن) فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ فَقَالَ النَّاسُ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ وَاللَّهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ قَدْ آمَنَ النَّاسُ فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ (مداخل الطُّرُق) فَخُدَّتْ (حُفِرَت) وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ وَقَالَ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا أَوْ قِيلَ لَهُ اقْتَحِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتْ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ (تَأَخَّرَت) أَنْ تَقَعَ فِيهَا فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ" .

* ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ..﴾ الآية خاصة بأصحاب الأخدود أم عامة ؟

قال الفخر الرازي : يحتمل أن يكون المراد أصحاب الأخدود فقط ، ويحتمل أن يكون المراد كل من فعل ذلك وهذا أولى لأن اللفظ عام والحكم عام فالتخصيص تَرْكٌ للظاهر من غير دليل .

* ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ يدل على أنهم لو تابوا لخرجوا عن هذا الوعيد وذلك يدل على القطع بأن الله تعالى يقبل التوبة ، ويدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة خلاف ما يروى عن ابن عباس .

* ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ على من يعود الضمير ﴿هُمْ﴾ ؟

قال بعض المفسرين أنه يعود على المؤمنين الذين احترقوا بالنار ، وقال آخرون بل يعود على الكفار أصحاب الأخدود وأن الضمير في ﴿عَلَيْهَا﴾ عائد إلى طرف النار والمواضع التي يمكن الجلوس فيها ، وهذا هو الراجح الذي يشهد به سياق الآيات .

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ طباق يفيد أن قدرة الله مطلقة في بدء الخَلْق وإعادته .

* ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ تأكيد المدح بما يشبه الذم وهو أنْ يستثنى من صفةِ ذمٍ منفيةٍ عن الشيءِ صفةَ مدحٍ بتقدير دخولها فيه ففي هذه

الآية الكريمة جاء بمستثنى فيه معنى المدح هو ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ مع أن المستثنى منه فيه معنى الذمِّ وهو ﴿نَقَمُوا﴾ وهذا لتأكيد مدح المؤمنين وتعجب واستنكار من فعل الكافرين الذين عذَّبوا المؤمنين لا لشيء إلا من أجل إيمانهم بخالقهم، وكأن الإيمان في نظرهم جريمة تستحق الإحراق بالنار !!

* مقابلة بين ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ..﴾ و ﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..﴾ لتوضيح الفرق بين الكفر بالله ومعصيته وعاقبة ذلك ، والإيمان بالله تعالى وطاعته وعاقبة ذلك .

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ استفهام للتشويق وجذب الانتباه .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿الْمَوْعُودِ .. وَمَشْهُودٍ .. الأُخْدُودِ .. الْوَقُودِ .. قُعُودٌ .. شُهُودٌ .. الْحَمِيدِ .. شَهِيدٌ .. لَشَدِيدٌ .. وَيُعِيدُ .. الْوَدُودُ .. الْمَجِيدُ .. يُرِيدُ .. الْجُنُودِ .. مَجِيدٌ﴾ يعطي جرساً موسيقياً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

هذه السورة مَكِّيَّة بالاتفاق ، وتمثل طرقات متوالية على العقل ليفكر ويتدبر ، وعلى القلب ليبصر ويخشع ، طرقات تنبه الغافلين اللاهين من غفوتهم ولهوهم ليتأملوا السماء فوقهم كيف رفعت بغير عمد ؟ وكيف بنيت بغير فروج ؟ وكيف وسعت بغير حدود ؟ ويتأملوا نجوم السماء الهادية لهم في الظلمات البر والبحر والمسخرة بأمر الله ولا يحصيها عد ؟ يبحثوا عن النجم الطارق الثاقب لماذا أقسم الله تعالى به ؟ وعن الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب كيف خلق الإنسان منه ؟ يبحثوا عن رجع السماء وصدع الأرض ، يبحثوا عن عمن حفظ الإنسان من كل هذا العوالم ؟ بل كيف سخرها له ؟ إن ما جاء في هذه السورة ليس من سجع كاهن يكتب قواف مكررة ومعان غامضة مبهمة ، ولا من خيال شاعر يقول ما لا يفعل ويزخرف الأقوال ويلعب بالألفاظ ، إنه قول فصل وما هو بالهزل.

إن إيقاع السورة كأنه طرقات عنيفة قوية ، وصيحات عالية مدوية فهل من منتبه ومصغ ؟ فمن لم ينتبه ولم يبصر وظلَّ لاعباً لاهياً أو مغترّاً بعلمه وقوته فسوف ينبه حقاً يوم تقرعه القارعة الكبرى يوم تبلى السرائر ويجرد من القوة والناصر ، إن الله تعالى يمهل الغافلين والضالين ولكن لا يهملهم ، ويملي لمن يكيدون للدين والمؤمنين ولكن لن يتركهم .

فضل السورة :

أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يقرأُ في الظُّهرِ والعصرِ بـــ : ﴿السَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ و ﴿السَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [صححه الألباني]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ

﴿٦﴾ تَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

اللغويات :

﴿السَّمَاءِ﴾ ما يقابلُ الأرض ، والفَلَك ، وكلُّ ما علاكَ فأَظَلَّك ، والسَّحابُ ، والمطَر ، والجمع : سماوات ﴿الطَّارِقِ﴾: الآتي لَيْلاً ، والنَّجْمُ الثَّاقبُ ﴿الثَّاقِبُ﴾ ثَقَب النَّجْمُ ونحوُه : أضاءَ ، وثَقَبَ الشيءَ ثَقْبًا : خرَقَهُ ، والثَّقْبُ : الخَرْق النافذ ﴿لَمَّا﴾ حرف استثناء بمعنى " إلاَّ " إذا دخل على الجملة الاسميّة ﴿حَافِظٌ﴾ حافَظَ على الشيء مُحَافَظَة ، وحفاظًا : رَعَاهُ ، ودَافَعَ عَنْه ، واظَبَ عليه ، وحَفِظ الشَّيءَ : صانه، وحرسَه ﴿دَافِقٍ﴾ دَفَقَ الْمَاءَ : صَبَّهُ بِشِدَّة ﴿الصُّلْبِ﴾ : العَمُود الفَقَرِيُّ.، ويقال هو من صُلب فلان : من ذرِّيَّته ﴿التَّرَائِبِ﴾ عِظَام الصَّدْر ﴿تُبْلَى﴾ تُخْتَبَر وتُمْتَحَن ، وتُكشَفُ ﴿السَّرَائِرُ﴾ جمع سَرِيرَة : ما يُكتَمُ ويُسَرُّ ﴿الرَّجْعِ﴾ الرُّجُوع ، والمطر ، ورَجْعُ الصوت : صَدَاهُ ﴿الصَّدْعِ﴾ الصَّدْعُ : الشقُّ في الشَّيء الصُّلب ، والنبات الذي تَتْشَقُّ الأرضُ عَنْه ﴿فَصْلٌ﴾ الفَصْلُ من القول : ما كان حقّاً قاطعاً ، ويومُ الفصل : يومُ القيامة ، وفَصْلُ الخطَاب : ما كان الحكم فيه قاطعًا لا رادَّ له ﴿بِالْهَزْلِ﴾ هَذَيَانٌ في الْكَلاَمِ ، وعَدَمُ الْجِدِّ ﴿يَكِيدُونَ﴾ الكَيْدُ : إرادة مَضَرَّة الغَيْر خُفْيَةً ، وهو من الخَلْق : الحِيلَةُ السَّيِّئة ، ومن الله : التَّدْبيرُ بالحَقِّ مجازاة أعمال الخَلْق ﴿فَمَهِّلِ﴾ المَهْلُ : التُّؤَدة والرِّفق ، ومَهَّلَهُ : أَجَّلَه وأَخَّرَه ﴿رُوَيْدًا﴾ مَهْلاً ، وأمْهلهُمْ رويْدا : إمْهالاً قريبًا ، أو قليلاً .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ أقْسَم الله تعالى بالسَّماء وهي معروفة وبالطارق وهو غير معروف ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ وأي شيء أعلمك ما حقيقة هذا الطارق ؟ والسؤال كما هو موجَّه إلي رسول الله ﷺ مُوَجَّه كذلك إلي كل قارئ للقرآن الكريم ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ ثم يبيِّن الله تعالى حقيقة الطارق وهي أنه نجم يُصْدِر أصواتاً

منتظمة سريعة ، وتخترق أشعته الأجسام الصلبة وهذه الصفات الثلاثة : نجم ، طارق ، ثاقب تنطبق على كلٍّ من النجوم وأشباه النجوم الراديوية والتي لم تُدْرك إلا في أواخر الستينيات من القرن العشرين ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ وجواب القسم أن الله تعالى قد حفظ الإنسان من كلِّ ما يؤذيه وهيَّأ له حياة آمنة على الأرض، وحفظ له أعماله وأحصاها عليه ليحاسبه عليها يوم القيامة ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ وكما دعا الله تعالى الإنسان إلى أن يتفكر في خلق السماء وحقيقة الطارق دعاه ليتفكر أيضاً في كيفية خَلْقه ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ ويبيِّن الله تعالى كيفية خَلْق الإنسان وأنه خُلِقَ من ماء الرجل والمرأة المتدفق المصبوب بشدة ﴿ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ هذا الماء الذي يخرج من بين العَمُود الفَقَريُّ وعظام الصدر ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾ إن الله تعالى الذي خلق الإنسان من هذا الماء لقادر على أن يعيده مرة أخرى بعد الموت ليحاسبه ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ يوم القيامة تُكْشَف الأسرار وتظهر حقيقة أصحابها ، ويحاسب كل إنسان على ما فعل في السر أو العلانية إن خيراً فله وإن شراً فعليه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ والأمر يوم القيامة لله تعالى مالك يوم الدين فالإنسان لا يملك في ذلك اليوم أيَّة قوة ذاتية ولا خارجية يمتنع بها عن تنفيذ أمر الله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ يقسم الله تعالى بالغلاف الجوي المحيط بالأرض الذي يُرْجع إلينا كل ما هو نافع ويرجع عنا ما هو ضار وفاسد يرجع علينا المطر وحرارة الشمس وأشعة الراديو .. ويرجع عنا الأشعة والموجات وكل ما هو ضار ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ ويقسم الله تعالى بالأرض التي تتشق ليخرج منها حباً ونباتاً وجنات ألفافاً ، وتتشق شقوقاً تحيط بالأرض لتحميها من آثار الزلزال والبراكين المدمرة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ إن كلام الله هو الفصل القاطع بين الحق والباطل ، وهو كلام جدٌّ وصدق لا هَذَيَان ولعب ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ إن المكذبين بكلام الله يمكرون للقضاء على دين الله وأتباعه من المؤمنين ، والله تعالى يرد كيدهم إلى نحورهم وينصر دينه والمؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ لا تعجل على كافرين فإن الله تعالى يملي لهم ويمدهم في طغيانهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

فوائد وعظات :

* ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا هو جواب القسم واختلف المفسرون حـــول ما الذي يحفظه هذا الحافظ ؟

اختلف المفسرون إلى ثلاثة أقوال :

الأول : إن هذا الحافظ يحفظ ويكتب على الإنسان أعماله دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً .

الثاني : يحفظ عمل الإنسان ورزقه وأجله ، فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه إلى ربه ، ثم ينصرف إلى الآخرة فيجازى بما يستحقه .

الثالث : يحفظها من المصايب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله عليها .

وأقوال العلماء الثلاثة صحيحة وإن كان الرأي الثالث هو ما له علاقة بالقَسَم بالسماء والطارق ؛ فالحافظ سبحانه وهو الذي يحفظ الكرة الأرضية من الأخطار التي تأتي من السماء مثل : الأشعة والموجات والحرارة الضارة ، ويحفظها من النَّيازك والشُهُب المدمرة ، ويحفظها من سماع أصوات النجوم النيوترونية الطارقة التي إن وصلت إلى الأرض لأهلكتها .

* ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ إلام يعود الضمير في " إنه " ؟

في هذا الضمير قولان :

الأول : يعود إلى ما أخبر الله تعالى به في هذه السورة من إعجاز في الخلق وقدرة على البعث والحساب يوم تبلى السرائر .

والثاني : يعود إلى القرآن فهو فاصل بين الحق والباطل كما قيل: له فرقان .

والقولان صحيحان وإن كان الأول أولى لعودته إلى المذكور في السورة .

* ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾ ما صور كيد الكفار ؟

للكيد صور كثيرة منها :

إلقاء الشبهات كقولهم : ﴿إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [المؤمنون:٣٧] ﴿مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨] ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥] ﴿لَوْلا نُزِّلَ هَذَا القُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزُّخرف:٣١] ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣] ﴿إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان:٤] ومنها بالطعن فيه بكونه ساحراً وكذَّاباً وشاعراً ومجنوناً ﴿هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [ص:٤] ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصَّفات:٣٦] ومنها بقصد قتله ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الذين كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]

من الإعجاز العلمي في السورة :

* ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ النجم عندما يكون في مراحل الاحتضار يدور بسرعة كبيرة حول نفسه وينكمش على نفسه وتخترق إلكتروناته السالبة الذرة التي كانت تدور حولها وتعادل شحنة البروتونات الموجبة داخلها لتصير كلها نيوترونات وشيئاً فشيئاً يُصبح النجم عبارة عن نواة واحدة كبيرة ويتحول النجم إلى نجم نيوتروني أو راديوي صغير الحجم فائق الكثافة والجاذبية والحرارة ويسمع له صوت وتشع منه كميات هائلة من شعاع الراديو الثاقب للأجسام الصلبة والذي يصل إلى أعماق البحار والمحيطات والذي يحمل عليه البث الإذاعي والتليفزيوني وأصوات التليفون المحمول وغير ذلك ، والمقصود بالطارق هو النجم الراديوي من مثل النجوم النيوترونية النابضة، وأشباه النجوم، وكل واحد من هذين النوعين من أجرام السماء يطلق كمية هائلة من الأشعات الراديوية التي تطرق صفحة الغلاف الغازي للأرض بطرقات متلاحقة تشبه صوت ضربات الطارق على الباب ومن رحمة الله بنا أن أقرب النوابض الراديوية إلينا يبعد عنا بمسافة خمسة آلاف من السنين الضوئية ، ولو كان على نصف هذه المسافة منا لكان لنبضاته المتسارعة آثارها المدمرة على الأرض .

لم تكتشف هذه النجوم النيوترونية النابضة إلا في الستينيات من القرن العشرين وسبق القرآن الكريم بالإشارة إلي هذه الطوارق(النجوم الراديوية) من قبل ألف وأربعمائة سنة لهو بحق من الشهادات الناطقة بأن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون صناعة بشرية، بل هو كلام الله الخالق، الذي أنزله بعلمه على خاتم رسله ﷺ . [1]

* ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ﴾ إن الماء الدافق الذي يخلق منه الإنسان يقصد به ماء كلٍّ من الرجل والمرأة، وسمي دافقاً لأن كلاً منهما، يخرج من مصدره متدفقاً فماء الرجل يخرج من الخُصْيتين متدفقاً عبر القضيب كما هو معروف ، أما ماء المرأة فهو الماء المحيط بالبُيَيْضة [2] في داخل حويصلتها ، فإذا انفجرت الحويصلة تدفق هذا الماء يدفع بالبُيَيْضة إلي بوق قناة الرحم حيث تلتقي بأقوى حيوانات الرجل المنوية المقسوم لإخصابها وتكوين النطفة الأمشاج إن أراد الله أن يتم ذلك وإلا

---

(1) د . زغلول النجار " الإشارات الكونية في القرآن الكريم " جريدة الأهرام ٣١ / ١/ ٢٠٠٥

(2) البُيَيْضة تصغير بَيْضة ، أما بويضة فخطأ شائع .

ظلت البُيَيْضة بلا إخصاب وتنزلت دماً مع الحيض عن ابن مسعود قال : " إذَا وقعَتْ النُّطْفَةُ في الرَّحمِ بعثَ اللهُ مَلَكًا فقالَ يا ربِّ مُخَلَّقَةٌ أو غَيْرُ مُخَلَّقَة فإنْ قالَ غيرُ مُخَلَّقَة مَجَّهَا الرَّحمُ دَمًا و إنْ قالَ مُخَلَّقَةٌ قالَ يا ربِّ فمَا صفَةُ هذه النُّطْفَة فيقالُ لَهُ انطلقْ إلى أمِّ الكتابِ فإنَّكَ تجدُ قصةَ هذهِ النُّطفة فينطلقُ فيجدُ قصتَهَا في أمِّ الكتابِ " [قال ابن حجر حديث صحيح الإسناد موقوف لفظاً مرفوع حُكْماً]

* ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ تتكون الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة(الخُصْيتان والمبْيضان) مما يعرف باسم الحَدَبَة التناسلية والتي تقع بين صُلْب الجنين(عموده الفَقَري) وترائبه (عظام صدره) وتنزل الخُصْيتان بالتدريج حتى تصلا إلي خارج الجسم(كيس الصَّفَن) في أواخر الشهر السابع، وينزل المبْيَضَان إلي حوض المرأة في نفس الفترة تقريباً ويبقيان في داخل الحوض ، وتبقي تغذية تلك الغدد التناسلية الذكرية والأنثوية بالدم والسوائل اللمفاوية والأعصاب من مركزي نشأتها من موقع الحدبة التناسلية بين الصلب والترائب طيلة حياة أصحابها، ومن هنا تأتي ومضات الإعجاز العلمي في هذه الآيات الثلاث ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ في التأكيد على خلق الإنسان من مائي الرجل والمرأة ، وأن كلا من المائين يخرج دافقاً مُنْدَفعاً، وأن كليهما يخرج من بين الصلب والترائب لنشأة الغدد التناسلية في كل من الرجل والمرأة من نفس هذا الموقع، واستمرار تغذيتها طيلة حياتها بالدماء والسوائل الليمفاوية والأعصاب من الموقع ذاته، مما يجعل هذا الماء يخرج فعلاً من بين الصلب والترائب.[1]

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ ورجع السماء هو قدرتها على إرجاع النافع المفيد من مختلف صور المادة والطاقة التي ترتفع إليها من الأرض مرة أخري وذلك من مثل: صدى الصوت ، المطر ، الرجع الحراري بعد غروب الشمس ، الغبار المرتفع بواسطة الرياح .. موجات البث (أشعة الراديو) الإذاعي والتلفازي وغيرها ، وقدرة سماء الأرض أيضاً على إرجاع الضار المهلك من صور المادة والطاقة التي تهبط من السماء في اتجاه الأرض إلي السماء مرة أخرى وذلك من مثل : الزائد من حرارة الشمس الذي ترده السحب ، والأشعة فوق البنفسجية وتردها طبقة

(1) د . زغلول النجار " الإشارات الكونية في القرآن الكريم " جريدة الأهرام ٣١ / ١/ ٢٠٠٥

الأوزون ، والأشعة الكونية ويردها كل من النطاق المتأين وأحزمة الإشعاع الموجودة فيه وغيرها ، وتحصي العلوم المكتسبة اليوم أكثر من عشر صور لرجع السماء بشكليه الداخلي العائد إلي الأرض، والخارجي المندفع بعيداً عنها جمعتها هذه السورة الكريمة في كلمة واحدة هي ﴿الرَّجْعِ﴾ . [1]

* ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يشمل انصداع الأرض انصداع التربة عن النبات وعن أجساد الأموات يوم البعث ، كما يشمل شبكة الصدوع التي تحيط بالأرض إحاطة كاملة والتي يشبهها العلماء باللحام على كرة التنس ، ممتدة لعشرات الآلاف من الكيلومترات في مختلف الاتجاهات ، وبأعماق تتراوح بين٦٠ كم ، ٦٥ كم في صخور قيعان جميع محيطات الأرض وقيعان أعداد من بحارها ، وبين١٠٠ كم ، ١٥٠ كم في صخور اليابسة لتشكل صمام أمن للأرض تنطلق منه الطاقة الزائدة عن حاجتها والناتجة من تحلل العناصر المشعة الموجودة في داخل الأرض . ولولا تلك الشبكة الهائلة من الصدوع والمتصلة ببعضها البعض وكأنها صدع واحد لانفجرت الأرض على هيئة قنبلة ذرية كبيرة منذ اللحظة الأولى لتيبس قشرتها ومن هنا كانت أهمية ذلك الصدع لاستقامة وجود الأرض وجعلها صالحة للعمران والحياة ، ولذلك جاء القسم تنبيها لنا إلي أهمية الأمر المقسم عليه ألا وهو صدع الأرض . [2]

من لطائف النظم القرآني :

* من أوجه إعجاز النَّظم في القرآن الكريم "المُشْتَرَك اللَّفْظِي" فالكلمة الواحدة يكون لها أكثر من دلالة وكلها صحيحة وهذا مما يجعل عطاء القرآن غير محدود في كل زمان ومع كل مجتهد ويتجلَّى هذا الأمر بوضوح في آيات الإعجاز العلمي الذي اشتملت هذه السورة على الكثير منها فكلمة "الطارق" معناها في اللغة : الذي يجيء ليلاً ، وأصل الطرق : الدَّق ، ولقد فسَّر المفسرون القدماء كلمة "طارق" بالنجم الذي يظهر ليلاً في السماء ووصفه بالثاقب أي المضيء الذي يثقب الظلام ويخرقه بنوره فينفذ فيه ويبدده ، وهذا التفسير صحيح ولا يتعارض مع ما عرفناه حديثاً عن النجم النيوتروني الطارق الثاقب .

---

(1) نفسه .
(2) نفسه .

وكذلك فسروا ﴿خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ بماء الرجل والمرأة الذي يكون منه الجنين أنه يخرج من بين سلسلة الظهر وعظام الصدر ، وجاء العلم الحديث لزيد الأمر إيضاحاً ولا يتناقض مع الفهم القديم ، وكذلك ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال المفسرون القدماء : الرجع هو المطر ، وفي العصر الحديث اكتشف العلماء أن السماء أو الغلاف الجوي [1] من فوائده أنه يرجع المطر كما يرجع ما هو مفيد إلى الأرض ويصد ما هو ضار عنها .

وكذلك قوله تعالى ﴿وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ فقد فهم المفسرون القدماء هذه الآية على أن الأرض تتشقق ليخرج منها النبات وهذا حقيقي ولكن أضيف إلى هذا المعنى وجود الصدوع التي تحيط بالأرض وتحميها من الانفجار ؛ لذا لا عجب أن يختم الله تعالى حديثه عن السماء والطارق وعن الماء الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب وعن السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع بقوله تعالى ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ وقد أكدَّ الكلام بمؤكدين (إنَّ واللام) لبيان أن كلام الله تعالى حق يوم نزل ويظل هو الحق إلى أن تقوم الساعة برغم التقدم العلمي الهائل الذي يُبيِّن الإعجاز العلمي فيه لا ينقض منه شيئاً .

* ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ عُدِّي اسم الفاعل "حافظ" بحرف الجر "على" ليفيد معني القيام الشامل ، والإحصاء التام .

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ استفهام لتفخيم وتعظيم المُسْتَفْهَم عنه وهو الطارق.

* ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ﴾ دخول من على كلمة قُوَّة للنفي التام للقوة قليلها وكثيرها كأنه قيل: ماله من شيء من القوة ولا أحد من الأنصار .

* ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ الطباق بين ٱلسَّمَآءِ ، ٱلأَرْضِ لبيان شمول نعم الله تعالى وعمومها ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ الطباق بين الفصل والهزل لتوكيد ما جاء في السورة من حقائق ونفي الهزل عنها .

* ﴿يَكِيدُونَ كَيْداً﴾ توكيد عن طريق المفعول المطلق لبيان أن المكذبين بالدين لا يألون جهداً في الكيد للدين وأهله ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ تأكيد لإبطال الله تعالى كيد الكائدين ورده إلى نحورهم .

---

(1) من معاني كلمة سماء : كلُّ ما علاك فأظلَّك ؛ فينطبق هذا على الغلاف الجوي كما ينطبق على السحب والمطر والفلك .

* ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ إطناب بتكرار الفعل مبالغة في الوعيد .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿خُلِقَ .. دَافِقٍ﴾ ، ﴿لَقَادِرٌ .. السَّرَائِرُ .. نَاصِرٍ﴾ ، ﴿الرَّجْعِ .. الصَّدْعِ﴾ ، ﴿فَصْلٌ .. بِالْهَزْلِ﴾ ، ﴿كَيْدًا .. كَيْدًا ... رُوَيْدًا﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

السُّورة مكيَّة ، وتشتمل على تنزيه الله تعالى الذي خلق الخلق في أحسن تقويم وهداهم سواء السبيل ، وحفظ القرآن الكريم ، ويسَّر شريعة الإسلام والطريق المؤدي إلى الجنة ، وأمر بالدعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تبين السورة اختلاف الناس تجاه دعوة الحق إلى شقي وسعيد ، وأن دين الله واحد لا اختلاف فيه بين الأنبياء والمرسلين .

فضل السورة :

عن عقبة بن عامر قال : " لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[الواقعة: ٧٤] قال النبي ﷺ : " اجعلوها في ركوعكم " فلما نزلت : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ قال: " اجعلوها في سجودكم" [صحيح أبو داود]

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وَ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَقْرَأُ بِهِمَا " [صحيح مسلم]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ
﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾
فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾
ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن

تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

اللغويات :

﴿سَبِّحِ﴾ اللهَ ، ولَهُ : نزِّهَه وقدِّسه ﴿فَسَوَّى﴾ سوَّى الشيءَ : قوَّمه وعدَّله وجعله سَوِيًّا ﴿قَدَّرَ﴾ الأمرَ : دبَّره وفكَّر في تسويته ﴿فَهَدَى﴾ هَدَى فلاناً : أرشده ودلَّه ، هدى له الطّريق : عرَّفه إيّاه ، وبيَّنه له ﴿الْمَرْعَى﴾ مَوْضِعُ الرَّعْي الذي يَنْبُتُ العُشبُ فيه رَطْبًا غضًّا ﴿غُثَاءً﴾ الْحَشَائِشُ اليَابِسَةُ وَفُتَاتُ الأَرْضِ وَمَا يُجْرَفُ مَعَ رَغْوَةِ السَّيْلِ ﴿أَحْوَى﴾ حَوِيَ النباتُ : اسودَّ من شدَّة النَّضَارة ، فهو أَحْوَى ﴿لِلْيُسْرَى﴾ اليُسْرَى : السَّهلُ ، واليُسْر ﴿الأَشْقَى﴾ الشَّقِيُّ: التعسُ غير السعيد ، والضالّ غير المهتدي ، وشَقِيَ في كذا : تَعِبَ واشتدَّ عناؤه ﴿يَصْلَى﴾ صلِي النَّارَ : احترق فيها وقاسى حرَّها ﴿أَفْلَحَ﴾ : ظَفِر بما يريد ، وفاز بنعيم الآخرة ﴿تَزَكَّى﴾ تَطهَّرَ من الكفر والمعاصي ، وتصدَّق ، وأدَّى الزكاةَ ﴿تُؤْثِرُونَ﴾ آثرَه إيثاراً : اختاره وفضَّله ﴿الصُّحُفِ﴾ جمع صَحِيفَة وهي ما يُكْتَب فيه من وَرَقٍ ونحوه ، ويطلق على المكتوب فيها .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ نزِّه اسم ربك الأعظم عما لا يليق به وقدِّسْه بكلِّ وصْفٍ وَصَفَ به نفسه فهو ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ لقد استحقَّ الله تعالى التسبيح والتمجيد لأنه خلق كل شيء من العدم على غير مثال سابق وقوَّمه وعدَّله وجعله سَوِيًّا في إحكام واتساق مناسبين لما خُلِق له ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ والله تعالى قدَّر لكلِّ شيء ما يصلحه ثمَّ هداه إليه ﴿.. رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ والله تعالى الذي أخرج من الأرض ما ترعاه الدواب من صنوف النباتات ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ وبعد أن يكون النبات أخضر نضراً يصير يابساً مُسْوَدّاً ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى﴾ سنقرأ عليك القرآن ، يا أيها النبي، ونحفظه في قلبك وعقلك فلا تَنْساه أبداً ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ وسيظل القرآن محفوظاً بحفظ الله له ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر:٩] حتى يأذن الله تعالى في آخر الزمان برفع القرآن من الصحف والصدور والعقول فهو تعالى العليم بسر خلقه وعلانيتهم ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[يونس:٦١] ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ ونيسِّر لك ، يا حافظ القرآن ومُتَخَلِّق به ، أحوالك في الدنيا وطريقك إلى الجنة ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ وكما هداك الله الصراط المستقيم فعليك أن تعلِّم غيرك وترشده إليه بالطريقة الأدعى للقبول ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠] ﴿سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ ولن يستجيب لدعوتك إلا من خاف الله تعالى واتقاه ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى﴾ أمَّا الضالُّ المُصرُّ على الكفر والعناد فلن ينتفع بدعوتك بل سيعاديها ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى * ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى﴾ ومصير هذا الشقي هو الخلود في النار فلا يموت فيها فيستريح ولا يحيا حياة طيبة فيهنأ إنما من شدة العذاب يتمنَّى الموت ولكن لا يحصل له ﴿لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ أمَّا الفائز برضا الله تعالى ونعيمه فهو من اتَّبع دينك وتأسى بك وطهَّر نفسه من الكفر والفساد وسوء الخلق ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ واطمأنَّ قلبه بذكر الله فأقام الصلاة وعمل صالحاً ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ الإنسان خُلِقَ من عَجَل لذا تجده يفضِّل متاع الدنيا العاجل رغم أنه زائل ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ مع أن الآخرة خير من الدنيا بصفاء نعيمها ، وأبقى بدوامه ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ إن هذا المذكور في هذه السورة لثابت في الصحف الأولى- صحف إبراهيم وموسى- فهو مما توافقت فيه الأديان وسجلته الكتب السماوية .

فوائد وعظات :

* ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ أمر الله تعالى النبي ﷺ وجميع من آمن به أن يَصِفُوا الله تعالى بكل صِفَاتِ الكمال والجمال والجلال وأن يُنَزِّهُوا ذاته تعالى وصفاته عن كل نقص أو عيب أو عجز وصَفَهُ به الكافرون ، نزِّه ربك الأعلى عن: الشريك ، والوالد ، والولد ، والشبيه .. وعن كل ما لا يليق به .

* ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ هُدَى الله تعالى للخَلْق أربع :

١- هُدَى الفِطْرَة : فالله تعالى هَدَى كلَّ مخلوق إلى كيفية حفظ حياته وكسب معاشه وأدائه مُهِمَّاته في الحياة فضلاً عن معرفة خالقه ، وهذه الحقيقة الكبرى ماثلة في كل شيء في هذا الوجود ؛ يشهد بها كل شيء في رحاب الوجود . من : الكبير إلى الصغير ، والجليل إلى الحقير . كل شيء مسوَّى في صنعته ، كامل في خلقته ، معدٌّ لأداء وظيفته ، مُقَدَّر له غاية وجوده ، وهو مُيَسَّر لتحقيق هذه الغاية من أيسر طريق . وجميع الأشياء مجتمعة كاملة التناسق ، مُيَسَّرة لكي تؤدي في تجمعها دورها الجماعي ؛ مثلما هي مُيَسَّرة فُرَادى لكي تؤدي دورها الفردي . (١)

ومن هُدَى الفطرة معرفتها خالقها سبحانه " كلُّ مولودٍ يُولَدُ على الفطرةِ ، فأبواه يُهَوِّدانه ، أو يُنَصِّرانه ، أو يُمَجِّسانه " [صحيح البخاري]

٢- هُدَى العقل : لقد خلق الله تعالى العقل ليدرك صفات الأَشْياء ، من حُسْنِها وقُبْحِها ، وكَمَالِها ونُقْصانها ، والعِلْم بخَيْرِ الخَيْرَيْنِ ، وشَرِّ الشَّرَّيْنِ ، ويكونُ بمُقَدِّمات يَسْتَتبُّ بها الأَغْراضُ والمصالِحُ ، به تُدْرِكُ النفسُ العلومَ الضَّرورِيَّةَ والنَّظَرِيَّةَ . (٢)

٣- هُدَى الإبانة : ومعناه أن الله تعالى لم يكتف بهُدَى الفطرة ولا هُدَى العقل ليعذِّب من لم يؤمن به ويعبده بل أرسل الأنبياء والرسل لتبليغ رسالات الله تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ [الأنعام:١٣٠] ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥] .

٤- هُدَى الإعانة : وهو إعانة الله تعالى من آمن به وأطاعه فيحبب إليه الإيمان ويزيِّنه في قلبه ويكرِّه إليه الكفر والفسوق والعصيان ويجعله من الراشدين ، وييسره لليسرى في حياته وآخرته ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد:١٧] ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[محمد : ٥ ، ٦]

* ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ تعددت تفسيرات العلماء لهذه الآية ومنها :

١- اليُسْرَى هي أعمال الخير التي تؤدي إلى اليُسْر، ومعنى الآية سنقرؤك فلا تنسى، ونوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر، يعني في حفظ القرآن .

(١) سيد قطب " في ظلال القرآن الكريم " ج ٨ ص ١٢
(٢) القاموس المحيط .

٢- اليُسْرَى الجنة ، والمعنى نيسرك للعمل المؤدي إليها .

٣- اليُسْرَى ، نهوِّن عليك الوحي حتى تحفظه وتعلمه وتعمل به .

٤- اليُسْرَى ، نوفقك للشريعة وهي الحَنِيفيَّة السهلة السمحة .

وكل هذه الآراء المتنوعة تتكامل ولا تعارض بينها .

* ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ ما المقصود بالتَّزكِّي في هذه الآية ؟

هناك قولان مشهوران للمفسرين هما :

القول الأول : تزكَّى من الذنوب أي تطهَّر من الذنوب والمعاصي والشرك .

القول الثاني : تزكَّى أي أخرج الزكاة ، والقرينة ذكر الصلاة بعد الزكاة ، وحمل بعضهم ذلك على زكاة الفطر وصلاة عيد رمضان .

والقولان متكاملان لا متعارضان فتزكية النفس هي ثمرة من ثمار ذكر الله والصلاة يقول تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت:٤٥]

* ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ لماذا ذكر الله تعالى الصلاة دون سائر العبادات؟

ذكر الله تعالى الصلاة ؛ لأنها أول ما فُرِضَ على المسلمين ، وفرضت في السماء وليس في الأرض كبقية الفرائض ، وفرضت بالأمر المباشر من الله تعالى وسائر الفرائض جاءت عن طريق جبريل ، وهي أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي عماد الدين ، وتاركها كافر ، وهي الفريضة الوحيد الذي أمر النبي الوالدين أن يأمروا أولادهم بها لسبع سنين ويضربوهم عليها لعشر ، وآخر ما وصَّى به النبي ﷺ قبل وفاته ، وآخر ما يُنْقَض من عُرَى الإسلام ، وأول ما يحاسب الإنسان عليه يوم القيامة ، وبصلاحها تصلح سائر الأعمال وبفسادها تفسد سائر العبادات .

* لماذا يُؤْثِر كثير من الناس الدنيا على الآخرة رغم أن الآخرة خير وأبقى؟

لقد خلق الله تعالى الإنسان عجولاً أي حريصاً على فعل الشيء بسرعة دون إبطاء أو تكاسل ؛ لأداء ما كُلِّف به في الدنيا من عبادة الله وتعمير الأرض ﴿وَكَانَ الإِنْسَانُ عَجُولاً﴾[الإسراء:١١]﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء:٣٧] ولكن الله تعالى ضبط تلك العجلة التي هي مُحَرِّك للعمل وسرعة إنجازه بتعاليم الشرع الحكيم فجعل المسارعة تكون في عمل الصالحات ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ

الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران:١١٤] والمسارعة في التوبة عند الوقوع في المعصية ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣] وجعل الله تعالى من أسباب قبول الدعاء المسارعة في فعل الخيرات ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

لكن كثيراً من الناس يؤثرون اللَّذة العاجلة المحتملة المُؤَقَّتة على النعيم الآجل المُحَقَّق الأبدي قال ابن مسعود على وجه التواضع : " إن الدنيا أحضرت ، وعُجِّل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها ، وإن الآخرة لغيب لنا وزُوِيَت عنَّا ، فأخذنا بالعاجل وتركنا الآجل "وشاءت حكمة الله تعالى أن يعطي الدنيا لمن طلبها وسعى لها بقدر ما كتب الله له فيها ولكن لا نصيب له في الآخرة التي كفر بها ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء:١٨] أما طالب الآخرة فعليه أن يؤمن بالله ويطيعه كما أمر ﴿وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩] وعلى الجُمْلة فالعجلة المحمودة تكون في مرضاة الله تعالى ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[طه:٨٤] والمذمومة في معصية الله ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[المائدة:٦٢] وفي إيثار الدنيا على الآخرة ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى : ١٦،١٥]

* ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ ما المراد بـــ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ ؟

الراجح من أقوال العلماء أن مضمون ما جاء في هذه السورة موجود في الكتب التي أنزلها الله تعالى على أنبيائه ورسله مثل صحف إبراهيم وموسى ، ولا عجب فالمرسل واحد هو الله تعالى والدين واحد وهو الإسلام ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ﴾[آل عمران:١٩]

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى * وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ تكرار "الذي" لتأكيد أن الله تعالى وحده هو الذي خَلَقَ وقدَّر وهَدَى وأَخْرَجَ المَرْعَى .

* ﴿خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعولي : خَلَق ، سوَّى ليشمل خلق الله جميع المخلوقات وتسويتها ، ومثله قوله تعالى : ﴿ قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ .

* ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ يقول بعض المفسرين ﴿ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ هذا الاستثناء غير حاصل في الحقيقة وأنه ﷺ لم ينسَ بعد ذلك شيئاً وبالجملة ففائدة هذا الاستثناء أن الله تعالى يُعرِّفه قُدْرَةَ ربِّه حتى يعلم أن عدم النسيان من فضل الله وإحسانه لا من قُوَّته .

ونرى ، والله أعلم ، أن الاستثناء يحصل في آخر الزمان فالقرآن الكريم سيظل محفوظاً في الصدور وفي المصاحف لا تمتدُّ إليه يد عابث ولا يصل إليه أدنى تحريف حتى نهاية الزمان فيرفع الله تعالى القرآن الكريم حين لا يبقى على الأرض مؤمن ، ولا يبقى إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة .

عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال:" يَدْرُسُ الإِسْلامُ كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ وَلا صَلاةٌ وَلا نُسُكٌ وَلا صَدَقَةٌ وَلَيُسْرَى عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ فَلا يَبْقَى فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ وَتَبْقَى طَوَائِفُ مِنْ النَّاسِ الشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْعَجُوزُ يَقُولُونَ أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَنَحْنُ نَقُولُهَا "
[صححه الألباني]

وعن ابن مسعود قال : " لَيُنْزَعَنَّ هذا القرآنُ من بين أظْهُرِكُمْ قال يا أبا عبد الرحمن أَلَسْنَا نقرأُ القرآنَ وقدْ أثبتناه في مصاحفنا قال يُسْرَى على القرآنِ ليلاً فلا يبقَى في قلْبِ عبدٍ ولا في مصحفه منه شيءٌ ويُصْبِحُ الناسُ فقراءَ كالبهائمِ ثمَّ قرأَ قول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً﴾ [الإسراء:٨٦] [صححه الألباني]

ولمَّا كان رفع القرآن من الصدور التي لا يعلم سرها إلا الله قال تعالى : ﴿إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى﴾ فالله وحده القادر على رفع القرآن الكريم في آخر الزمان من كل وسائل الحفظ الظاهرة كالمصاحف والكتب والتسجيلات المرئية والمسموعة ، وما في العقول والصدور .

* ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾ ما معنى اشتراط النفع إن كان الرسول ﷺ مأموراً بالذكرى نفعت أو لم تنفع ؟

وإجابة الفخر الرازي عن هذا السؤال مفادها " أولاً : أن رسول الله ﷺ قد استفرغ مجهوده في تذكيرهم ، وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى إلا عتوّاً وطغياناً ،

وكان النبي ﷺ يتلظَّى حسرة وتلهفاً ، ويزداد جداً في تذكيرهم ، وحرصاً عليه ، فقيل له : ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بالقرآن مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ وذلك بعد إلزام الحجة بتكرير التذكير .

وثانياً : أن يكون ظاهره شرطاً ، ومعناه ذَمّاً للمذكَّرين وإخباراً عن حالهم ، واستبعاداً لتأثير الذكرى فيهم ، وتسجيلاً عليهم بالطبع على قلوبهم ."

والحقيقة أن هذه الآية ترشد إلى آداب الدعوة إلى دين الله تعالى فهي ترشد إلى حسن عرض المذكِّر دعوته بطريقة أدعى للقبول فعليه أن يختار المناسب من : المواضيع ، والوقت ، والوسائل ، والأساليب ، والألفاظ . فبذلك يرجى لدعوته القبول ولا ينفِّر الناسَ منها فتذكير المؤمن الصالح غير تذكير الكافر الفاسد ، وتذكير المتعلمين غير تذكير الأميين ، تذكير الكبير غير تذكير الصغير ، وتذكير الباحث عن الحق غير تذكير الهارب منه ، وتذكير المحب غير تذكير الكاره . فعلى من يذكِّر الناس بدعوة الحق أن يهيئ لدعوته كل وسائل النجاح حتى تنفع وتأتي بثمارها ، فإن لم يفعل فربما صدَّ بدعوته إلى الحق عن الحق ، وبدعوته إلى الهدى عن الهدى يقول عَبْدُ اللَّه بْنَ مَسْعُود : "مَا أَنْتَ بِمُحَدِّث قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إلا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ" [رواه مسلم] ويقول عَلِيٌّ بن أبي طالب : " حَدِّثوا الناسَ ، بما يَعْرِفونَ أَتُحِبُّونَ أنْ يُكَذَّبَ ، اللَّهُ وَرَسولُهُ " [رواه البخاري]

* ﴿لاَ يَمُوتُ .. وَلاَ يَحْيَا﴾ طباق يؤكد شدة عذاب الأشقى وأبديته .

* ﴿ٱلْجَهْرَ.. وَمَا يَخْفَىٰ﴾ طباق يؤكد علم الله تعالى بجميع أحوال خلقه الظاهرة والباطنة .

* بين ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴾ و ﴿ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلأَشْقَى ﴾ مقابلة لتأكيد اختلاف موقف كل من التقي والشقي من دعوة الحق .

* اتفاق جميع فواصل السورة مراعاة لرءوس الآيات يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني.

***

بين يدي السورة :

السُّورة مكيَّة بالاتفاق ، وتشتمل على موضوعين أساسيين : يوم القيامة وافتراق الناس فيه إلى صنفين لا ثلاث لهما : وجوه خاشعة ذليلة تَصلَى ناراً حامية ، وجوه ناعمة نَضيرة في جنَّة عالية ، والموضوع الثاني : الدعوة إلى النظر في الكون لاكتشاف عظيم خلقه وإبداعه وللاهتداء إلى خالقه ومبدعه ، فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها .

فضل السورة :

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ : " كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ ، وَفِي الْجُمُعَةِ بِـ ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ وَ ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَيَقْرَأُ بِهِمَا " [صحيح مسلم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾
تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن
ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا
رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾
فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِىُّ
مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ
كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ

سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

اللغويات :

﴿الْغَاشِيَةِ﴾ القيامةُ ، النَّازلةُ من خيرٍ أَو شرٍّ أَو مكروه ﴿خَاشِعَةٌ﴾ ذليلة خاضعة مستكينة ﴿نَاصِبَةٌ﴾ نَصَبَ الشَّيءُ أو الأمرُ فُلاناً : أتعبَه وأعْيَاه ﴿تَصْلَى﴾ أَصْلاهُ ناراً : أَدْخَلَهُ فيها ﴿حَامِيَةً﴾ شديدة الحرارة ﴿آنِيَةٍ﴾ أَنَى السائل : بلغ غاية الحرارة ﴿ضَرِيعٍ﴾ نبات له شوك لا تأكله الدوابّ لخبثه ﴿يُسْمِنُ﴾ أسْمَنَ الإنسانَ : صيَّره سَمِينًا كثيرَ اللّحم والشَّحم ، لا يُسْمِنُ: لا فائدة فيه ولا نفع ﴿نَاعِمَةٌ﴾ وُجُوهٌ نَاعِمَةٌ : ذاتُ بهجةٍ وحُسنٍ ونَضارة ﴿لاغِيَةً﴾ اللاغيَةُ : ما لا يُعْتَدُّ به ولا يُحصَل منه على فائدة ولا نفع ، الفاحشة ﴿سُرُرٌ﴾ جمع سَرير ﴿أَكْوَابٌ﴾ جمع كُوب : وهو من آنية الشراب ﴿وَنَمَارِقُ﴾ وسائدُ ومَرافقُ يُتَّكَأُ عليها ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ مَوضُوعٌ بَعضُها إلى جَنْب بعض باستواء ﴿وَزَرَابِيُّ﴾ بُسُط أو فُرُش تُبسَط للجلوس عليها ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ مُتَفَرِّقة منتشرة ﴿الإِبِلِ﴾ الجمَال والنُّوق ﴿نُصِبَتْ﴾ نَصَبَ الشيءَ : أقامه ورَفَعَه ﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ سيطر الشَّخصُ على غيره تحكَّم وتسلَّط وتمكَّن ﴿تَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ ﴿إِيَابَهُمْ﴾ آبَ الشَّخصُ رَجَعَ وعَادَ .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ هل أتاك ، يا محمد ، حديث القيامة التي تنزل بكل النَّاس ؟ أنا سأعلمك خبرها إنها يوم قيامة النَّاس جميعاً بعد موتهم ليقفوا بين يدي الله تعالى فيحاسبهم على أعمالهم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ يوم القيامة وجوه الكفار والعصاة تكون ذليلة خاضعة قَسْراً لأنها لم تخشع لله طَوْعاً في الدنيا وتكبَّرت وتَغَطْرَسَت فكان جزاؤها من جنس عملها ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾فقد أتعبت نفسها في الدنيا طاعةً لهواها وشيطانها وعصياناً لله ورسله فاستحقَّت أن تشقى في الآخرة وتعذَّب في نارٍ شديدة الحرارة ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ وكما أنها شربت المُسْكِرَات وتعاطَتْ المُخَدِّرات والمفتِّرات التي حرَّمها الله عليها في الدنيا

فاستحقَّت في الآخرة أن تشرب من عين لا مثيل لها في حرارتها تحرق أحشاءهم ولا تروي ظمأهم ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ * لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ وكما أنهم أكلوا أموال اليتامى ظُلْماً وتاجروا في أقْوَات الفقراء جَشَعاً وأطعموهم الفاسدَ والمُهْلِكَ عُدْوَاناً فقد استحقُّوا أن يكون طعامهم يوم القيامة نَتِنَ الرائحة خَبِيثَ الطَّعْم سامَّ الأثر يُؤذي آكله ولا يسد جوعه جزاءً وفاقاً ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾أما المؤمنون الصالحون الذي خافوا الله تعالى في الدنيا فوجوههم يوم القيامة تكون ذات نضارة وحسن وبهاء من آثار نعيم الجنة ورضوان الله تعالى، فرحةً بما قدمت من عمل صالح في الدنيا استحقَّت به رحمة الله ومغفرته ونعيمه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ وكما أن هؤلاء المؤمنين تواضعوا لله ولم يتكبَّروا على عباده فقد أسكنهم الله تعالى في جنة عالية المكان والمكانة ﴿لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً﴾ وكما أنَّهم نزَّهوا ألسنتهم في الدنيا عن اللغو والرفث وهُدُوا إلى الطيب من القول فاستحقُّوا ألا يسمعوا في الجنة اللغو الذي لا معنى له ولا فائدة من ورائه ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وكما أن المؤمنين أظْمَئُوا نهارَهم لله فقد جعل الله لهم في الجنة عين ماؤها سلسبيل دائمة الجريان فلا يظمئون أبداً ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وكما أن المؤمنين أسْهَرُوا ليلَيهم عبادةً لله وأتعبوا أنفسهم في مرضاته واجتنبوا محرماته وشَقُوا ليستريح الناس ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة:١٦] فاستحقُّوا أن يناموا على أسرَّة عالية المكان والمكانة وثيرة الفراش يرون من فوقها الجنة ونعيمها ويشربون من أكواب مُمْتَلِئة بكلِّ ما يشتهون من شراب طَهُور ، ويتَكئُون على وسائد وثيرة منتظمة الصفوف ويسيرون على بُسط ليِّنَة حيث ساروا ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ عجباً لمن ينتفع بالنعم التي لا تعدُّ ولا تحصى ويغْفُل عن التفكر فيها وفيمن خلقها ! هلاَّ نظر هذا الغافل إلى الإبل كيف خلقت على هيئتها البديعة هذه ، عظيمة الحجم متينة البنية شديد القوة ، وسأل نفسه من خلقها وذللها لتحمل الإنسان وأثقاله وتصبر على الجوع والعطش في قيظ النهار واتساع الصحراء ؟ ومن جعل ألبانها سائغة ، ولحومها شهيَّة ، وفي أوبارها وجلودها منافع كثيرة ؟ ﴿والأنعام خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ومنافع وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ

أَثْقَالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بالغيه إِلاَّ بِشِقِّ الأنفس﴾ [النحل: ٧-٥] ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ هلاَّ نظر هذا الغافل إلى السماء وسأل نفسه كيف رفعت بلا عمد؟ وحُبِكَتْ بغير خَلَل ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق:٦] ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ هلاَّ نظر إلى الجبال كيف أقيمت شامخة ، تمسك الأرض فلا تميل ولا تميد ؟ ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وإلى الأرض التي يتقلَّبون عليها كيف بسطت ومهدت ؟ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ فيا أيها النبي ، ويا أيها الداعي في كل زمان ومكان ، ذكِّر بدين الله الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ فإنما مهمتك التبليغ والبيان ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ ولست على الناس بمتسلط ولا جبار ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ﴿إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ﴾ فمن أعرض عن الذِّكر واتَّبع هواه وكفر بالله فسيعذِّبه الله العذاب الأكبر الذي لا عذاب فوقه ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ والناس مهما ابتعدت أماكنهم وتطاولت أزمانهم واشتدَّ بأسُهم فإنهم حتماً سوف يموتون ويرجعون إلى الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥ ، ١٦] والله تعالى وحده الذي يحاسبهم على ما قدموا في الحياة الدنيا .

فوائد وعظات :

* مَنْ المُخَاطَب بقوله تعالى : ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ؟

الخطَاب لكلِّ مَنْ بَلَغَه وذُكِّر به ، فهو خطاب للكافر : أيها الكافر هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ؟ إذا لم يكن قد أتاك فاهو يأتيك ذكرُه لم يعد لك عذر الآن فالمعرفة مُيَسَّرة وبكل لغات العالم اقرأ وقارن بين الأديان والإلحاد ، ثم اقرأ وقارن بين الأديان نفسها لتصل إلى أيها أحق لتتبعه ، وكم من روسي وأمريكي وألماني وإنجليزي.... قد بحث ودرس ووصل إلى الحق فلا عذر لك فكما أنك تبحث وتتعب في جمع المال وتحصيل النعم والمتع بها فلماذا لا تتعب نفسك لتصل إلى الحق والدين الصحيح ؟

وهو أيضاً خطاب للمسلم : أيها المسلم يا من تؤمن بيوم القيامة اعتقاداً وتنكره أفعالاً وسلوكاً هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ؟ بالقطع قد أتاك وإلا لا تكون مسلماً فلماذا لا تعمل بمقتضى علمك به ؟! ولماذا تعمل من المعاصي والآثام عمل من لا يموت

وإن مات لا يبعث وإن بعث لا يحاسب ؟!! أيها القَاتلون ، أيها الظالمون ، أيها الفاسدون ، أيها اللصوص ، أيها المُخرِّبون ، أيها المُستَغِلُّون حاجة الناس أيها ... هل أتاكم حديث الغاشية التي تغشى الوجوه والأفئدة ؟! إن كان قد جاءكم فلماذا تقتلون وتظلمون وتفسدون وتسرقون وتغشون.. ؟!! وإن لم يأتكم فلماذا لم تبحثوا عنه ألا تستحق الأسئلة : من أنا ؟ ومن خَلَقَني ؟ ولماذا خَلَقَني ؟ وما مهمتي في هذه الدنيا ؟ وماذا بعد الموت ؟ وهل هناك حياة أخرى ؟ ومن السعيد فيها ومن الشقي ؟ ألا تستحق هذه الأسئلة أن تبحث عن إجابات لها ، هذه الأسئلة التي حتماً قد دارت برأسك وبرأس غيرك فلماذا لم تتعب نفسك في البحث عن إجابات حقيقية مقنعة لها ؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]

* والخطاب للمؤمنين الصالحين : أيها المؤمنون اطمئنوا ولا يحزنكم ما ترون من كفر وفساد وظلم للعباد فقد اقترب يوم الميعاد وأوشك يوم الحساب .

* ذكر الله تعالى بعض مظاهر نعيم الآخرة في هذه السورة ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وقد يقول قائل إن هذه النِّعم يمكن أن يحصِّلها الإنسان في الدنيا ؛ فهناك من يملك جنَّات واسعة تجري فيها المياه العذبة ، ولا تسمع فيها إلا ما تحب ، وعندهم القصور العالية ، والأسرَّة الوثيرة ، والأواني الذهبية والفضية ، والفرش والبسط الفاخرة ، بل عندهم أيضاً الطائرات الخاصة والسيارات الفارهة والسفن و... والحقيقة أن نعم الدنيا مهما كانت كثيرة ، ومهما تعددتْ ألوانها ، فيُنغِّصها ويُؤرِّق صاحبها أنها زائلة عنه حتماً بانتهاء عمرها الافتراضي أو بموت صاحبها أو فقره أو عجزه عن التمتع بها ، أما نعيم الجنة فدائم لا يزول ولا ينقطع ﴿... وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٢،٣٣] ولا يُكدِّره شيء مما يكدِّر نعم الدنيا : المرض ، الهرَم ، الهَمُّ والحَزَن ، إلْفُ العادة فما تملكه اليد تزهده النفس ، تكاليف هذه النعم من تعب وجهد ومشقة ، الخوف من زواله ، الخوف من اعتداء الآخرين عليه ، عدم التفرغ الكامل للاستمتاع به ، عدم إدراك كل ما تتمنى ، طغيان صاحبه به واستغنائه عن خالقه ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق:٦،٧] جَلْب المنافقين والمنتفعين، المحاسبة عليها يوم القيامة ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ .

أما نعيم الآخرة فهو خالص من هذه المُنَغِّصَات وغيرها فهو نعيم مقيم لن يترك صاحبه ولن يتركه صاحبه ﴿وَعَدَ اللهُ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة:٧٢] كما أن نعيم الآخرة لا يفسده مرض ، ولا هرَم ، ولا همٌّ ، ولا حَزَن ، ولا خوف عليه من الآخرين ، ولا يجلب المنافقين المنتفعين إنما يجعلك تعيش مع الصالحين ، ولا تخاف عليه من حسد الحاسدين ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧] كذلك النعم في الدنيا ، غالباً ، تُنْسِي المُنْعِم وتُغْفِل شكره وتسبيحه أما نعيم الآخرة فيذكِّر بتسبيح الله وحمده ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس:١٠] نعيم الدنيا قليل مهما كثر محدود مهما اتسع ، ونعيم الآخرة لا حدود لكثرته ولا اتساعه ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصّلت:٣١] نعيم الآخرة يجلب الرضا ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٨] ونعيم الدنيا يورث الجشع والطمع " لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لابْتَغَى ثَالِثًا وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلاَّ التُّرَابُ " [صحيح مسلم] نعيم الدنيا بالأسباب ، لكن نعيم الآخرة بالمسبِّب سبحانه .

إذن السعيد حقاً من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى وكانت الجنة له مَأْوَى، والشقي من طغى وآثر الحياة الدنيا وكانت الجحيم له هي المَأْوَى.

* ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ هل الوجوه الخاشعة هذه عاملة ناصبة في الدنيا أم في الآخرة ؟

قال بعض المفسرين عاملة في الدنيا ناصبة فيها لأنها على غير هدى ، فلا ثمرة لها إلا النَّصَب وخاتمتها النار ، وقال آخرون بل عاملة في نار الآخرة ناصبة فيها لأنها تكبَّرت عن العمل في الدنيا ، وعملها في النار جر السلاسل والأغلال ، وخوضها في النار كما تخوض الإبل في الوحل ، والصعود والهبوط في تلالها ودركاتها كما قال تعالى : ﴿إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ * فِي الحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر:٧١،٧٢]

والرأيان غير متعارِضَيْن ، فالكفار والعصاة يعملون ويتعبون في الدارين فيتعبون في الدنيا لأنهم ساروا على غير هدى الله وشرعه ويتعبون في الآخرة عقوبةً لهم على ذلك .

* ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ اختلف المفسرون حول المَقْصُودِينَ بهاتين الآيتين فقال بعضهم هم الكفار عبدة الطاغوت بدليل أنه تعالى وصف وجوههم بأنها خاشعة والله تعالى يقول عن الكفَّار المكذِّبين بآياته : ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خاشعين مِنَ الذل يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥] وقال آخرون بل هم أهل الكتاب : اليهود والنصارى ، ورووا أن عمر بن الخطاب مرَّ بِدَيْر راهب فجعل ينظر إليه ويبكي. فقيل له : يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال : ذكرتُ قول الله عز وجل : ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ فذاك الذي أبكاني .

وسُئِلَ عليٌّ بن أبي طالب عن الأخسرين أعمالاً في قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣، ١٠٤] فقال هم الخوارج .

وهاتان الآيتان تنسحبان على كلِّ إنسان عمل عملاً لم يكن لله خالصاً ولم يكن وفق ما شرع الله وبيَّن رسوله ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠]

* ما علاقة ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بما قبلها ؟

اعلم أنه تعالى لما حكم بمجيء يوم القيامة وقسَّم أهل القيامة إلى قسمين : الأشقياء ، والسعداء ، ووصف أحوال الفريقين وعلم أنه لا سبيل إلى إثبات ذلك إلا بواسطة إثبات الصانع الحكيم ، لا جرم أتبع ذلك بذكر هذه الدلالة فقال ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل﴾ وجه الاستدلال بذلك على صحة المعاد أنها تدل على وجود الصانع الحكيم ، ومتى ثبت ذلك فقد ثبت القول بصحة المعاد .

* لِمَ خصَّ الله سبحانه الإبلَ بالذِّكر من بين سائر الحيوانات ؟

لأن الإبل أبدع الحيوانات خَلْقاً وهَيْئة وتكويناً ؛ فقد اجتمع فيها ما تفرَّق من المنافع في غيرها ، من أكل لحمها ، وشرب لبنها ، والحمل عليها ، والتنقل عليها إلى البلاد الشاسعة ، وعيشها بأي نبات أكلته وجعلها ترعى كل شيء نابت في البراري والصحراء مما لا يرعاه سائر البهائم ، وصبرها على العطش حتى أن

فيها ما يرد الماء لعشرة أيام ، وطواعيتها لمن يقودها ، جعلها تَبْرك حتى تحمل عن قرب ويسر ونهضتها وهي باركة بالأحمال الثِّقال ، ومن أوبار الإبل وجلودها يلبس ويتّخذ المأوى .

والذي مكَّنها من القيام بكل هذه المهام بديع خلقها وعجيب تكوينها فعَيْنا الجمل ترتفعان فوق رأسه ، وترتدَّان إلى الخلف . ولهما طبقتان من الأهْدَاب تقيانهما الرمالَ والقذَى . وكذلك المِنخَران والأُذنان يكتنفها الشعر للغرضِ نفسه فإذا ما هبَّت العواصف الرمليَّة ، قُفِل المنخران وانثنت الأُذنان نحو الجسم ، وللجمل سنامٌ لتخزين الدهون المتحوِّلة من فائض غذائه تلك الدهون التي يقوم بحرقها خلال عملية التنفس لتتحوَّل إلى طاقة تمدُّه باحتياجاته في فترة الحرمان من الطعام ، وللجمل أرجلٌ بها أخفاف كبيرة ليِّنة مناسبة للسير على الرمال .

وتتكوَّن مَعِدَة الجمل ، خلافاً لباقي الأنعام المُجْتَرَّة ، من ثلاث حجرات هي : الكرش والشبكية والأنفحة ، والكرش سعته ٨٠% من سعة المعدة كلها يعمل مخزناً للمواد الغذائية ، وتسكن فيه ملايين الطواحين الحية من البكتيريا وباقي الكائنات الحية الدقيقة الأخرى كالفطريات والحيوانات الأولية ، وعندما يتغذى الجمل على النباتات الصحراوية غليظة الجُدُر ، والأعشاب والأشواك فإنه يُخزِّنها أولاً في الكرش حتى يَجْتَرَّها بعد ذلك ، وأثناء وجود الطعام في الكرش تقوم تلك الطواحين والهاضمات الحية المعجزة بإفراز سيل من الإنزيمات الهاضمة التي تحلل تلك المواد وتساعد على طحنها ، ويقوم الجمل باجْتِرَار الطعام ليفتته بأسنانه وينزل علية من لعابه في روية وهدوء ، وتقوم الغرفة الثانية من المعدة وهي الشبكيِّة بمساعدة الكرش في ذلك ، وتعمل كمخزن للماء والمواد السائلة ، وفي الغرفة الأخيرة وهي المعدة الحقيقية للجمل يفرز العصير المعدي والذي يساعد على هضم بعض المواد الغذائية التي لم يتم هضمها في الكرش والشبكة . (١)

* ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ هل هذه الآية تتعارض مع كون الأرض كروية الشكل ؟ وهل في القرآن الكريم ما يدل على أن الأرض كروية ؟

من الحقائق العلمية المقطوع بها كروية الأرض ، ولقد فهم المفسرون قديماً وحديثاً من القرآن الكريم ما يؤكِّد ذلك كقوله تعالى ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ

(١) المنتدى : الإعجاز العلمي في القرآن الكريم .

القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠] فالليل والنهار يجريان في تتابع لا يسبق أحدهما الآخر ، وعليه فإمَّا أن يكون التتابع في خط مستقيم أو في خط دائري ، فإن كان التتابع في خط مستقيم على وجه الأرض فإنه لن يحدث إلا ليل واحد أو نهار واحد ، إذن فلا بد أن يكون على شكل دائري ، وقد أخبر تعالى بأن الليل لا يسبق النهار ، وهذا المعنى القرآني لا يتحقق إلا إذا كان الليل والنهار يوجدان معاً في وقت واحد على الأرض ، وهذا لا يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية ويقول تعالى : ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ [الزُّمر:٥] والتكوير لا يكون إلا على سطح كروي ولم يقل تعالى يكور الليل ثم يكور النهار ؛ للدلالة على أن الليل والنهار موجودان معاً على الأرض الكروية نصفها ليل ونصفها نهار ، فالليل والنهار يكوران على بعضهما على سطح كروي هو الأرض .

أما بالنسبة لقوله تعالى ﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ فهذا لا يتعارض مع كروية الأرض بل يؤكد كرويتها فالسطح لغةً : البسط ، والتسوية ، والمد وهذا لا يكون إلا في الشكل الكروي والبيضاوي فسطحهما ممتد مبسوط لا بداية له ولا نهاية محددتين فأينما سار الإنسان على سطح الأرض يجده مبسوطاً ممتداً ليس له بداية يبدأ منها ولا نهاية ينتهي عندها .

* ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾ هذه مهمة الأنبياء ، والدعاة إلى الحق تذكير الناس بالله وشرعه وسوق الأدلة والبراهين والدعوة إلى النظر في بديع خلق الله لإثبات ذلك وتأكيده ، وكل هذا يكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] فالإيمان من أعمال القلوب ولا يملك بَشَرٌ الاطلاع عليه وإكراه الناس لقبوله ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩]

والاستثناء ﴿إِلاَّ مَنْ تَوَلَّى﴾ الصحيح أنه منقطع عما قبله ، والمعنى لكن من تولَّى عن الوعظ والإرشاد والتذكير ، وكَفَر بقلبه ولسانه ، فإنَّ الله يعذبه في الآخرة

بعذاب جهنم الدائم فالله تعالى هو المسيطر عليه ، لا يخرج أحد عن قبضته وقوته وسلطانه ، وقالوا وعلامة كون الاستثناء منقطعاً حسن دخول "أن" في المستثنى .

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الغاشية﴾ استفهام للتقرير ، والتشويق إلى الاستماع إليه .

* ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ ضَرِيعٍ﴾ أسلوب قصر أداته النفي والاستثناء لحصر طعام أهل النار في أكل الضريع النتن السام القبيح فحسب .

* ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيَةٍ﴾ بناء الفعل للمجهول لبيان أنها تُسْقَى بغير رغبتها وعلى كره منها .

* ﴿لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ كناية عن عدم فائدته أو نفعه شيئاً .

* ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ أسلوب قصر بتقديم شبه الجملة ﴿إِلَيْنَا﴾ ، ﴿عَلَيْنَا﴾ على اسم إنَّ ﴿إِيَابَهُمْ﴾ ، ﴿حِسَابَهُمْ﴾ لقصر رجوع الناس يوم القيامة على الله تعالى وحده وكذلك حسابهم وتوكيد ذلك بحرف ﴿إِنَّ﴾.

* ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ وجوه مجاز مرسل عن أصحابها علاقته الجزئية ، وكذلك ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ واختير الوجه للدلالة على صاحبه لأن الوجه أشرف أعضاء الإنسان الظاهرة وعليه يظهر أثر النعمة أو النقمة والسعادة والتعاسة ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [المطَّففين:٢٤] ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ [الحج : ٧٢]

* بين ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ مقابلة لبيان مصير المؤمنين ، ومصير الكفار والعصاة .

* توافق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿حَامِيَةً .. آَنِيَةٍ﴾ و ﴿ضَرِيعٍ .. جُوعٍ﴾ و ﴿رَاضِيَةٌ .. عَالِيَةٍ .. لاغِيَةً .. جَارِيَةٌ﴾ و ﴿مَرْفُوعَةٌ .. مَوْضُوعَةٌ﴾ و ﴿مُذَكِّرٌ .. بِمُسَيْطِرٍ .. وَكَفَرَ .. الأَكْبَرَ﴾ و ﴿إِيَابَهُمْ .. حِسَابَهُمْ﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ، ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***

بين يدي السورة :

السُّورة مكيِّة ، وتشتمل على قسم الله تعالى بأقسام خمسة على مجازاته للمحسنين والمتجبرين كل بما يستحق ، ثم ذكر الله تعالى أن الطغيان والفساد كان سبب إهلاك قوم عاد وثمود وفرعون ، ثم بيَّن تعالى فهم طالب الدنيا الخاطئ لعطاء الله ومنعه للنعم المادية في الدنيا . فالكرامة ليست بكثرة النعم ، والإهانة ليست بقلَّتها . إنما الكرامة في الاستقامة على شرع الله ، والإهانة في الانحراف عنه ، والجزاء يوم القيامة يكون وفق هذا المقياس .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي
ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ
﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ
﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ
﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا
ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ
إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ
ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ
أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ

دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

اللغويات :

﴿الْفَجْرِ﴾ انكشافُ ظلمةِ الليل عن نور الصُّبْح ﴿الشَّفْعِ﴾ ما شفَع غيرَه وجعله زوْجًا ﴿الْوَتْرِ﴾ الفردُ ، ومن أسماء الله تعالى ﴿يَسْرِ﴾ سَرَى اللَّيْلُ : مَضَى وَذَهَبَ، أسرى باللَّيل سرَى ، سار فيه أو قطعه بالسَّيْر ﴿لِذِي حِجْرٍ﴾ الحِجْر : عقل ﴿بِعادٍ﴾ اسم قبيلة من العرب البائدة كانت تسكن " الأحقاف " جنوب الجزيرة العربية ﴿إِرَمَ﴾ جد عاد ﴿ثَمُودَ﴾ ثمود قوم من العرب البائدة مساكنهم بمدائن الحِجْر (مدائن صالح) الواقعة بين المدينة المنورة وتبوك ﴿جابُوا﴾ جاب الصَّخرةَ : نقبها ﴿بِالْوادِ﴾ الوادي : كلُّ منفرَج بين الجبال والتِّلال ﴿فِرْعَوْنَ﴾ اسم ملك مصر الطاغي الذي أرسل الله تعالى له موسى عليه السلام ﴿الأَوْتادِ﴾ جمع وَتِد : ما ثُبِّتَ في الأرض أو الحائط من خشب ونحوه لدعم سور أو تثبيت خيمة أو ربط حيوان ، أوتادُ الأرض : جبالُها ، أوتادُ البلاد : رُؤساؤها وزعماؤها ﴿طَغَوْا﴾ طَغَى : تجبَّر وأسرف في الظلْمِ ﴿الْفَسادَ﴾ التَّلَفُ والعَطَبُ ، الاضْطِرَاب والخَلَل ، الجَدْبُ والقَحْطُ ، إلحاقُ الضَّرَرِ ﴿سَوْطَ﴾ السَّوْطُ : ما يُضرب به من جلْد ﴿سَوْطَ عَذابٍ﴾ : عَذَابًا شديدًا ﴿لَبِالْمِرْصادِ﴾ يراقبُك ولا تفُوتُه ﴿ابْتَلاهُ رَبُّهُ﴾ امْتَحَنَه واختَبَره بالنعم أو النِّقم ﴿فَقَدَرَ﴾ قَدَرَ اللهُ الرِّزْق على فلان : ضيّقه ﴿أَهانَنِ﴾ أهَانَ الشَّخصَ : أذلَّه واحتقره واسْتَخَفَّ به ﴿تَحَاضُّونَ﴾ حاضَّ الرَّجلُ غيرَه حثَّه ﴿التُّراثَ﴾ : الميراث ﴿لَمًّا﴾ لَمَا الشيءَ لَمَا لَمْوًا : أَخَذَهُ بأجمعه ﴿جَمًّا﴾ حُبًّا جَمًّا : كثيرًا مع حرصٍ وشَرَهٍ ﴿دُكَّتِ الأَرْضُ﴾ دقَّتْ وكُسِرَتْ بالزَّلازل ﴿أَنَّى﴾ اسم استفهام بمعنى : من أين ، متى ، كيف ﴿يُوثِقُ﴾ وثَقَ الأَسِيرَ : شَدَّهُ بِالوَثَاقِ ﴿وَثاقَهُ﴾ الوَثَاقُ ما يُشَدُّ به، كالحبل وغيره .

المعنى الإجمالي للآيات :

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقْسَمَ اللهُ تعالى بنور الصبح والحق الذي يبدد الظلام والباطل ﴿وَلَيالٍ عَشْرٍ﴾ والليالي العشر المُفَضَّلة عند الله تعالى وهي : الليالي العشر الأخيرة من رمضان ، أو الأولى من ذي الحجَّة ، أو من المُحَرَّم ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ الصلاة المكتوبة والمسنونة ، والزوجي والفردي من أيام الله المباركة ﴿وَاللَّيْلِ إِذا يَسْرِ﴾ وسَيْر الصالحين في طاعة الله ليلاً ﴿هَلْ فِي ذلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ إن في الفجر والليالي العشر والشفع والوتر والليل إذا يسري قسم للعقلاء المتدبرون في خلق الله وأيامه ، فمن كان ذا عقل فليتدبر فيما أقسم الله تعالى به وينظر إلى ما فيه من عجائب ودلائل ، وجواب القسم محذوف تقديره لأجزينَّ الطائعين المحسنين الذين حَرَمُوا أنْفسَهم من الرُّقاد ؛ عبادةً لله وقضاء لحوائج العباد ، ولأنتقمنَّ من العصاة المتجبِّرين الذين كفروا بالله وظلموا العباد وأفسدوا البلاد ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ * إِرَمَ ذاتِ الْعِمادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها فِي الْبِلادِ﴾ وضرب الله تعالى أمثلة للطغاة المتجبَّرين الذين انتقم الله تعالى منهم في الدنيا قومَ عادٍ وثمودَ وفرعونَ ، وقوم عاد أورثهم الله الأرض بعد قوم نوح وآتاهم من القوة والعلم ما جعلهم يشقُّون القنوات ويقيمون السدود ويحرثون الأرض ويزرعونها ، ويشيِّدون مدينة " إرم " بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية التي تميَّزت أعمدتها بالضخامة التي ليس لها مثيل ولا لمن بناها ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ﴾ وقوم ثمود الذين شيَّدوا مدائن صالح المحفورة داخل الجبال ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ﴾ وفرعون الملك الطاغية صاحب العمائر الضخمة والمسلات الفريدة والجيوش القوية ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ﴾ هؤلاء الطغاة الثلاثة الذين آتاهم الله تعالى العلم والقوة وأورثهم الأرض وأرسل لهم الرسل – هود ، صالح ، موسى – بدلاً من أن يؤمنوا بالله ويشكروا أنعمه ويعملوا الصالحات كفروا بالله وأنعمه وتجاوز الحد في الظلم والبغي والفساد ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ﴾ فأهلكهم بالريح العاتية أو بالصيحة العالية أو مياه البحر الجارية ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾ إن ربك ، يا محمد ، يرصد ويراقب ويحاسب ويجازي ﴿فَأَمَّا الإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ إن الإنسان إذا ما اختبره ربه بالنعمة – مال ، سلطة ، قوة ، أولاد – فيقول مغترّاً بذلك : ربى فَضَّلَنى لاستحقاقى لهذا ﴿وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ﴾ وأما إذا ما اختبره ربه فضيَّق عليه رزقه فأعطاه بقدر ما يحتاج دون زيادة فيقول مُتَبَرِّماً إن الله يحتقرني ويذلني ﴿كَلاَّ بَلْ لا

تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ والحقيقة أن بَسْطَ النعمة ليس دليلاً على حب الله للغني بل اختباراً له أيشكر أم يكفر ؟ وكذلك تضييق الرزق ليس دليلاً على إهانة الله للفقير بل اختباراً أيصبر أم يتبرَّم ؟ فالكرامة والإهانة لا علاقة لهما بالغنى والفقر الماديين إنما في الاستقامة على شرع الله والانحراف عنه ، فيا طلاب الدنيا ، أغنياء وفقراء، إنكم لا تحسنون إلى الأيتام إن كانوا فقراء لا ميراث لهم ﴿وَلا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ولا تطعمون المسكين بل تحثون على عدم إطعامه فتبخلون وتأمرون الناس بالبخل ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَمًّا﴾ وتستولون ، يا طلاب الدنيا ، على ميراث الأيتام إن كان لهم ميراث وتجمعون ميراث الضعفاء إلى ميراثكم ظلماً وعدواناً ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ تفعلون هذا كله بسبب حبكم الشديد للمال وحرصكم الأكيد على جمعه ورغبتكم المتجدِّدة في الإكثار منه بلا حدود ﴿كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ احذروا يا طلاب الدنيا فإن الدنيا لن تدوم لكم وما جمعتموه بالحرام لن ينفعكم بل سيكون وبالاً عليكم يوم القيامة يوم تزلزل الأرض زلزالاً شديداً ويتهدَّم كل ما فيها ويسوى بالأرض ويموت كل من عليها ليبعث الله الأولين والآخرين إلى ميقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ويبدأ الحساب ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ويجيء الله تعالى ليقضي بين الخلائق ويحاسبهم على ما آتاهم ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً لتنفيذ أوامره ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ يقول النبي ﷺ " يؤتى بجَهنَّمَ يومئذٍ لها سبعونَ ألفَ زمامٍ ، معَ كلِّ زمامٍ سبعونَ ألفَ ملَكٍ يجرُّونَها " [صحيح مسلم] في هذا اليوم يندم طلاب الدنيا على عدم إكرامهم اليتيم الفقير الذي لا ميراث له واستيلائهم على ميراث اليتيم الذي له ميراث ، يندمون على عدم إطعام الفقراء والمساكين ، وأكل ميراث الضعفاء ، يندمون على حبهم الشديد للمال وعدم إنفاقه في سبيل الله ، ولكن هذا الندم لن ينفعهم يومئذ شيئاً ﴿يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ يندم طالب الدنيا على طمعه وجشعه وظلمه وجوره ويتمنى لو كان قد أطاع الله وعمل صالحاً ولم يكن من طلاب الدنيا الفانية وكان من طلاب الآخرة الباقية وفي الآية ردٌّ على الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مسير فيما كلفه الله ولا إرادة له فيه ﴿فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ إن عذاب طالب الدنيا يوم القيامة فوق كل تصور فليس مثل عذاب المنتقم الجبار عذاب ﴿وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وليس مثل قيود شديد العقاب ذي الطول قيود ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ يخاطب الله تعالى نفوس المؤمنين الذاكرة لله تعالى تلك النفوس التي آمنت بالله تعالى وأطاعته وخافت عذابه واتَّقته ، واطمأنت إلى قدر الله

في السراء والضراء ، وفي المنع والعطاء ؛ واطمأنت إلى وعد الله يوم الجزاء فاستحقَّت أن تطمئن يوم الوفاء " وعزَّتي لا أجمَعُ على عبدي خوفَيْنِ وأمنَيْنِ إذا خافني في الدُّنيا أمَّنْتُه يومَ القيامة وإذا أمنني في الدُّنيا أخَفْتُه يومَ القيامة [صحيح ابن حبان] ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ عودي إلى رضوان ربك ونعيمه سعيدة برضا الله عنك في الآخرة ، وسعيدةً بما وفَّقك الله في الدنيا إلى محبته وطاعته ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ فادخلي في زُمْرة عباد الله الصالحين واسكني معهم في جنة النعيم ، وهكذا جزى الله تعالى الذين أساءوا بما عملوا وجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

فوائد وعظات :

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم تعالى بالفجر لما يصاحب زمنه من صفاء مادي ومعنوي، ويأتي الصفاء المادي نتيجة لانكماش نطاق الغلاف الغازي للأرض بالتبرد ، فيؤدي ذلك إلى قرب نطاق الأوزون ، والأوزون من الغازات المُعَقِّمة، فيعمل علي تطهير نطاق المناخ من الملوثات ، وعلي تعقيمه من مسببات الأمراض ، وزيادة نسبة الأكسجين في نطاق المناخ تؤدي إلى انتعاش الأحياء بصفة عامة في جو من النداوة والرقة والهدوء والسكينة . ويأتي الصفاء المعنوي من كثرة وجود الملائكة ، والشعور بِرَدِّ الأرواح إلي الأبدان لحظة الاستيقاظ من النوم ، وخفقة القلب لسماع صوت المؤذن ينادي لصلاة الصبح ، وفرحته بالمسارعة إلى الاستجابة لهذا النداء الإلهي المؤنس ، وبالاستماع إلي كلام الله تعالي يتلي، والمصلون واقفون صفوفاً بين يدي خالقهم في خشوع وضراعة تامين ، ومن هنا كان القسم بالفجر وقتاً وعبادة . (١)

وليس في الفجر طهارة مادية من الملوثات لقرب طبقة الأزون من الأرض وطهارة معنوية بوجود الملائكة التي تشهد صلاة الفجر ، إنما في الفجر نور يظهر الحق ويكشف الظلمات ويزهق الأباطيل ﴿اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧] لاحظ أن الظلمات جاءت جمعاً ، وهي كذلك في القرآن الكريم كله ، والنور جاء مفرداً ، وهو كذلك في القرآن كله ، لبيان أن الحق واحد من عند الله الواحد وأن الباطل كثير ومتنوِّع

(١) د. زغلـــول النجـــار " والفجر وليال عشر والشفع والوتر " جريدة الأهرام ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٨

لأنه من عند شياطين الإنس والجن وهؤلاء ما أكثرهم ! وما أكثر الأباطيل التي يدعون إليها !

والله تعالى يطهِّر الأرض فجراً من الطغاة والمتجبِّرين الذين يلوثونها بالشرك والطغيان بقطع دابرهم مصبحين ، وفي الفجر يكون حصاد جوائز المؤمنين الصالحين كما سيأتي تفصيله .

* ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ اختلف العلماء حول تحديد الليالي العشر فقال بعضهم إنها الليالي العشر الأخيرة من رمضان ؛ لأن فيها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر والتي أنزل الله تعالى فيها القرآن الكريم ، والتي قال النبي فيها ﷺ : " مَن قام ليلةَ القدرِ إيمانًا واحتسابًا، غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه " [متفق عليه] وكان رسولُ اللهِ ﷺ إذا دخَلت الليالي العشر الأخيرة من رمضان اجتهد في العبادة زيادة على المعتاد " أحيا اللَّيلَ وشدَّ المئزرَ وأيقَظ أهلَه " [متفق عليه]

وفسرها بعضهم بالليالي العشر الأولى من ذي الحجة التي يقول النبي ﷺ : فيها "مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ أَفْضَلَ مِنْهَا فِي هَذِهِ . قَالُوا : وَلا الْجِهَادُ ، قَالَ : وَلا الْجِهَادُ ، إِلا رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَيْءٍ " [صحيح البخاري] وفي هذه الليالي يومُ عَرَفَةَ الذي فيه ركن الحج العظيم " الحجُّ عرفةَ فمَن أدرك ليلةَ عرفةَ قبل طلوعِ الفجرِ من ليلةِ جمعٍ فقد تمَّ حجُّهُ " [صحيح الألباني] ويوم عرفه يعتق الله فيه من النار ما لا يعتق في غيره " ما من يومٍ أكثرَ من أن يُعتِقَ اللهُ فيهِ عبدًا من النارِ ، من يومِ عرفةَ . وإنَّهُ ليدنو ثم يُباهي بهم الملائكةُ " [صحيح مسلم] وسُئِلَ النبي عَنْ صَوْمِ يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ ﷺ : " يُكَفِّرُ السَّنَةَ الْمَاضِيَةَ وَالْبَاقِيَةَ " [صحيح مسلم] وقال ﷺ : " خيرُ الدُّعاءِ دعاءُ يومِ عرفةَ " [صحيح الألباني] ، وفي هذه الليالي عيد الأضحى الذي يقول فيه النبي ﷺ : " إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ " [صحيح أبي داود]

وفسر بعض العلماء ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ بالليالي العشر الأولى من المُحرَّم فالصيام فيها أفضل صيام بعد رمضان يقول النبي ﷺ : " أفضلُ الصيامِ ، بعدَ رمضانَ ، شهرُ اللهِ المحرمِ " [صحيح مسلم] والعشر الأول من المحرم هي أفضل أعشار هذا الشهر المبارك كما ذكر العلماء، فيكون الصيام فيها أفضل من الصيام في غيرها منه ، ولا شك في فضل هذه العشر لاشتمالها على يوم عاشوراء الذي سُئل النبي

عن صومه فقال ﷺ : " يُكفِّرُ السنةَ الماضيةَ " [صحيح مسلم] وفي سبب صوم هذا اليوم قصة يرويها لنا ابنِ عباسٍ قال : "لمَّا قدِم النبيُّ ﷺ المدينةَ وجد اليهودَ يصومونَ عاشوراءَ فسُئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليومُ الذي أظهر اللهُ فيه موسَى على فرعونَ ونحن نصومُه تعظيمًا له فقال رسولُ اللهِ ﷺ نحن أولَى بموسَى منكم وأمرَ بصيامه" [صحيح الألباني] وحين صام رسولُ اللهِ ﷺ يومَ عاشوراءَ وأمرَ بصيامه ، قالوا : يا رسولَ الله ! إنه يومٌ تُعظمُه اليهودُ والنصارى فقال رسولُ اللهِ ﷺ " فإذا كان العامُ المُقبلُ إن شاءَ اللهُ ، صُمْنا اليومَ التاسعَ " [صحيح مسلم]

* ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ وكما اختلف العلماء حول الليالي العشر اختلفوا حول الشفع والوتر إلى أكثر من عشرين رأياً منها : الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى واعْتُرِضَ على هذا الرأي فقيل إن الله تعالى لا يذكر مع غيره على هذا الوجه بل يعظم ذكره حتى يتميز من غيره ، وقيل الوتر يوم عرفة ؛ لكونه التاسع ، والشفع يوم النحر ؛ لكونه العاشر ، والشفع والوتر : التاسع والعاشر من المحرم ، والشفع درجات الجنة وهي ثمانية، والوتر دركات النار وهي سبعة ، والشفع أيام عاد والوتر لياليهم لقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[الحاقَّة:٧] والشفع والوتر : الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر ، والشَّفْعِ : صلاة الصبح ، وَالْوَتْرِ : صلاة المغرب ، والعشاءان : المغرب وتر ، والعشاء شفع ، وصلاة التراويح ثمانية شفع وثلاثة وتر ، و"صلاةُ الليلِ مثْنى مَثْنى. فإذا خشِيَ أحدُكم الصبحَ ، صلَّى ركعةً واحدةً تُوترُ له ما قد صلَّى " [متفق عليه]

* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ قال بعضهم ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ إذا يمضي ، وقال آخرون بل معناه إذا جاء وأقبل ، وقال مقاتل : هي ليلة المزدلفة فقوله : ﴿إِذَا يَسْرِ﴾ أي إذا يُسَار فيه كما يقال: ليل نائم لوقوع النوم فيه، وليل ساهر لوقوع السهر فيه، وهي ليلة يقع السري في أولها عند الدفع من عرفات إلى المزدلفة .

* ما علاقة الأقسام الخمسة بعضها ببعض وبانتقام الله من قوم عاد وثمود وفرعون ؟

من استقراء النصوص والآراء الواردة في تفسير الأقسام الخمسة نجد أن الله تعالى قد جعل فجر الليالي العشر حصاداً لجوائز الصائمين القائمين : فتُغْفر ذنوبهم، وتُرْفع درجاتهم ، ويُدْحَر أعداؤهم من الجن والإنس . ففي الليالي العشر الأواخر

من رمضان يسري المؤمنون إلى المساجد ليلاً لصلاة المغرب (الوتر) وصلاة العشاء (الشفع) وقيام الليل (ثماني ركعات شفع وثلاث وتر) فإذا فعلوا ذاك في كل الليالي العشر أدركوا ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر فإذا ما أدركهم فجرها غفر لهم ما تقدم من ذنوبهم .

وفي الليالي العشر الأولى من ذي الحجة إما أن يكون المؤمن في مكة لأداء مناسك الحج فيمضي الليالي العشر في عبادة وطاعة : يطوف بالبيت ، ويصلي في الحرم ، ويقف على جبل عرفة يوم التاسع (الوتر) ويباهي الله تعالى به الملائكة ويسري ليلة العاشر (الشفع) بعد غروب الشمس من عرفة إلى المزدلفة حتى إذا أدركه فجر العاشر يكون قد أدَّى ركن الحج الأعظم وغفر الله ذنبه ورفع درجته ويعود بعد الحج كيوم ولدته أمه . أما المؤمن غير الحاج فيُكْثر من عمل الصالحات في هذه الليالي العشر صياماً للنهار وقياماً لليل وإسراء إلى المساجد وصلة للأرحام وإحساناً للفقراء والمساكين حتى إذا صام يوم عرفة (الوتر) وضحَّى يوم النحر (الشفع) يخرج من هذه الليالي مغفور الذنب موفور الأجر إن شاء الله .

والليالي العشر الأولى من المحرم يتقرب المؤمن فيها إلى الله تعالى بصالح الأعمال فصيامها أفضل صيام بعد رمضان ، وخاصة يومي : العاشر ، والتاسع منه (الشفع والوتر) وفي اليوم العاشر من المحرم أمر الله موسى أن يسري ببني إسرائيل ليلاً ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لا تَخَافُ دَرَكًا وَلا تَخْشَى﴾ وظل بنو إسرائيل يعبرون البحر طوال الليل ، وتعطلت عجلات فرعون وجنوده داخل البحر حتى إذا جاء الفجر أمر الله موسى فضرب البحر بعصاه فغرق فرعون ونجا بنو إسرائيل فإسراء الأنبياء بالمؤمنين الناجين من العذاب يكون ليلاً ، وعذاب المكذبين يكون صباحاً .

﴿قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾ [هود:٨١] وثمود قوم صالح ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ [الحجر:٨٣] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف:٧٨]

وعاد قوم هود ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لا يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأحقاف:٢٤،٢٥]

من الإعجاز العلمي في السورة :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾

في سنة ١٩٨٤م زُوِّد أحد مكوكات الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار فكشف عن العديد من المجاري المائية الجافة مدفونة تحت رمال الحزام الصحراوي الممتد من موريتانيا غرباً إلى أواسط آسيا شرقاً .

وبدراسة الصور التي أخذت بتلك الواسطة لجنوب الجزيرة العربية اتضح وجود آثار مَدَقَّات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التي تملأ حوض الربع الخالي ، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التي يزيد قطر بعضها عن عدة كيلو مترات .

وقد احتار الدارسون في معرفة حقيقة تلك الآثار ، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هي آثار عاصمة ملك عاد التي ذكر القرآن الكريم وأن اسمها (إرم) كما جاء في سورة الفجر ، والتي قُدِّر عمرها بالفترة من ٣٠٠٠ ق. م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية .

قام معمل " الدفع النفاث " بكاليفورنيا بإعداد تقرير مطول يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التي تملأ فراغاً في تاريخ البشرية وقد ذكر التقرير أن اثنين من العلماء القدامى قد سبق لهما زيارة مملكة عاد في أواخر حكمها ، وكانت المنطقة لا تزال عامرة بحضارة زاهرة ، وكان أحد هذين العالمين هو " بليني الكبير " من علماء الحضارة الرومانية (والذي عاش في الفترة من ٢٣م إلى ٧٩م) والآخر كان هو الفلكي والجغرافي " بطليموس " السَّكَنْدَرِي الذي كان أميناً لمكتبة الإسكندرية (وعاش في الفترة من ١٠٠م إلى ١٧٠م تقريباً) وقام برسم خريطة للمنطقة بأنهارها المتدفقة ، وطرقاتها المتشعبة والتي تلتقي حول منطقة واسعة سمَّاها باسم (سوق عمان) .

ووصف " بليني الكبير " حضارة عاد الأولى بأنها لم يكن يدانيها في زمانها حضارة أخرى على وجه الأرض ، وذلك في ثرائها ، ووفرة خيراتها ، وقوتها، حيث كانت على مفترق طرق التجارة بين كل من الصين والهند من جهة وبلاد الشام وأوروبا من جهة أخرى ، والتي كانت تصدر إليها البخور والعطور والأخشاب ، والفواكه المجففة ، والذهب ، والحرير وغيرها .

وقد علَّق كثير من المتأخرين على كتابات كل من بليني الكبير وبطليموس السكندري بأنها ضرب من الخرافات والأساطير ، كما يتشكك فيها بعض مُدَّعِي العلم في زماننا ممن لم يستطيعوا تصور الربع الخالي ، وهو من أكثر أجزاء الأرض قحولة وجفافاً اليوم ، مليئاً في يوم من الأيام بالأنهار والبحيرات والعمران، ولكن صور المكوك الفضائي جاءت مطابقة لخريطة بطليموس السكندري ، ومؤكدة ما قد كتبه من قبل كل منه ومن بليني الكبير كما جاء في تقرير معهد الدفع النفاث[1]

من لطائف النظم القرآني :

* ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ لماذا قال هذه الآية بعد الأقسام الخمسة ؟

وذلك لجذب الانتباه وإثارة الذهن لتدبر العلاقة بين المُقْسَم به : الفجر وليال عشر والشفع والوتر ... من جهة ، وبين المُقْسَم عليه المحذوف من جهة أخرى .

* لماذا حُذِفَ جواب قسم الأقسام خمسة ؟ وما تقديره ؟

ليشمل جزاء المؤمنين الصالحين والكافرين الفاسدين جميعاً فبالنسبة للمؤمنين الصالحين الذين أقاموا الليالي العشر يكون جواب القسم لأغفرنَّ ذنوبكم ولأرفعن درجاتكم جزاء من ربكم عطاء حساباً ، وبالنسبة للكافرين المفسدين يكون جواب القسم لأهلكنكم في الدنيا ولأدخلنكم النار في الآخرة جزاء وفاقاً .

* ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ أثبت الله تعالى أنه أكرم صاحب النعم بما أنعم عليه فلِمَ ذمَّه عندما قال ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ؟ ولذلك أن المُنْعَم عليه لم يفهم أن إكرام الله له ابتلاء وليس لاستحقاقه للإكرام وجدارته به ، كما أنه قصر إكرام الله له على ما آتاه من نعم مادية كثيرة فقط ، وظن أن من رزقه الله الكفاف من نعمه المادية ليس مُكَرَّماً أيضاً بل مهان .

* ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ مجاز مرسل عن السائرين في الليل علاقته الزمانية .

* ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾ استفهام غرضه التقرير ، تقرير إن فيما ذكر قسم لا يدركه معناه ودلالته إلا أصحاب العقول .

* ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ استفهام غرضه التقرير ، تقرير هلاكهم بسبب طغيانهم وفسادهم .

([1]) د . زغلول النجار " الأرض في القرآن الكريم " دار المعرفة بيروت – لبنان ص ٦١٠ – ٦١٢ بتصرف .

* ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالْوادِ﴾ كناية عن قوتهم وبأسهم .

* ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتادِ﴾ كناية عن كثرة ما شيَّد فرعون من مبان وآثار تخلِّد اسمه ، وما جمع من جنود تحمي عرشه .

* ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسادَ﴾ ذكر الله تعالى الفساد بعد الطغيان لأن الطغيان هو السبب والفساد نتيجة له .

* ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذابٍ﴾ استعارة مكنية حيث شبه العذاب بالسائل المصبوب لبيان شدته وسرعته .

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصادِ﴾ كناية عن إحاطة الله تعالى بأعمال عباده وإحصائها عليهم وقدرته تعالى على مجازاتهم عليها .

* ﴿فَأَمَّا الإِنْسانُ إِذا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهانَنِ﴾ بين الآيتين مقابلة تبين تنوع ابتلاء الله تعالى للإنسان ، وموقف الإنسان في السراء والضراء .

* التفات من ضمير الغائب في ﴿ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ .. ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ إلى ضمير المخاطب في ﴿تُكْرِمُونَ .. تَحَاضُّونَ .. تَأْكُلُونَ﴾ لإثارة الذهن وجذب الانتباه إلى ما يرتكبه الإنسان من معاصٍ وآثام .

* ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّراثَ أَكْلاً لَمًّا﴾ استعارة مكنية حيث شبه الميراث بالطعام الذي يؤكل لبيان الطمع والجشع والشره وسرعة الاستيلاء عليه ، وتأكيد ذلك بالمفعول المطلق المبين للنوع ﴿أَكْلاً لَمًّا﴾ لبيان أنهم يلتهمون ما لهم وما ليس لهم من الميراث غير مفرقين بين الحلال والحرام فيه .

* ﴿كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ أسلوب خبري مؤكد بمؤكدين المفعول المطلق ﴿دَكًّا﴾ الأولى ، والتوكيد اللفظي في ﴿دَكًّا﴾ الثانية لبيان أهوال يوم القيامة.

* توفق الفواصل مراعاة لرءوس الآيات ﴿وَالْفَجْرِ .. عَشْرٍ .. وَالْوَتْرِ .. يَسْرِ .. حِجْرٍ﴾ و ﴿بِعادٍ .. الْعِمادِ .. الْبِلادِ .. بِالْوادِ .. الأَوْتادِ .. الْبِلادِ .. الْفَسادَ .. لَبِالْمِرْصادِ﴾ و ﴿أَكْرَمَنِ .. أَهانَنِ﴾ و ﴿لَمًّا .. جَمًّا﴾ يعطي جرساً موسيقيّاً تطرب له الأذن ويضيف إلى الكلمات ومعانيها قوة ، وينبه الذهن لإدراك المعاني .

***